دور الأم المسلمة في إعداد العلماء

إعداد

لبنى حسين الرشدان

بكالوريوس شريعة، جامعة اليرموك، قسم أصول الدين، ١٩٩٤م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التربية في الإسلام، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن

لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور حارث الضاري .... مشرفاً شرعياً/رئيساً

الدكتور محمد فخري مقدادي .... مشرفاً تربوياً

الدكتور فاروق السامرائي .... عضواً

الدكتور شحادة العمري .... عضواً

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾

آل عمران "٢٠٠"

الإهداء

إلى من منحاني كل الرعاية والاهتمام ... والديّ الكريمين

إلى زوجي العزيز ... (أبو المعتصم)

وولديّ الحبيبين ... معتصم وعمرو

والى الطامحين إلى بناء الأسرة المسلمة قاعدة المجتمع المرتقب

إلى المسلمات اللواتي ينشدنّ واقعاً حياً واعياً متقدماً

لإزاحة ركام الجهل في عزم وثبات

وإصرار الواثق بنصر الله .

شكر وتقدير

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد:

فاعترافاً بالفضل لذوي الفضل فإني أتقدم بالشكر الجزيل لكلّ من كـــانت له يدٌ في إخراج هذا البحث إلى الواقع.

وإني أخص بالشكر والامتنان فضيلة **الأستاذ الدكتور حـــارث الضــاري** الأستاذ بكلية الشريعة، و**الدكتور محمد مقدادي** من كلية التربية اللذين تفضّــلا بالإشراف على هذه الرسالة، ولم يألوا جهداً في تقديم التوجيه والإرشاد.

كما أتقدم بالشكر من **الدكتور فاروق السامرائي والدكتور شحادة العمري** اللذين تكرمًا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتقديم النصح والإرشاد، فجزاهمـــا الله خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أشكر كل من أسهم بجهد أو وقت أو نصيحة لإتمام هـــذا العمل وإخراجه.

دور الأم في إعداد العلماء

إعداد الطالبة

لبنى حسين محمد الرشدان

إشراف

الأستاذ الدكتور حارث الضاري

الدكتور محمد مقدادي

ملخص الدراسة

هدفتُ في دراستي إلى إبراز دور الأم في إعداد العلماء المسلمين حيث لم يتناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة من قبل، ولتحقيق هذا الهدف أجابت الباحثة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

١- ما مكانة المرأة المسلمة؟ وما دورها في التربية؟

٢- ما النماذج التي تظهر دور الأمهات في إعداد العلماء؟

٣- ما الأبعاد البنائية لإعداد العلماء؟

وقد أظهرت الدراسة أن للأم دوراً مهماً في التربية خاصة في المراحل العمرية الأولى مما يؤكد ضرورة الاعتناء بتربية الفتيات تربية إسلامية وإعدادهن إعداداً خاصاً للقيام بذلك الدور، كما ويؤكد أهمية اختيار الزوجة وانتقاء الأم لاستكمال عناصر التربية الصحيحة.

ومما يدل على ذلك الدور المهم الذي بُذل في الواقع من قبل أمهات العلماء لإعدادهم للوصول إلى المكانة العلمية والذي تبين من خلاله قدرة الأم على مضاعفة الجهود وسدّ الفراغ في حالة غياب الأب ومقدرتها على الموازنة بين العاطفة والعقل في المواقف التي تتطلب ذلك، ولم يمكن تحقيق ذلك إلا للصفات التي امتازت بها أمهات العلماء من العقل والفطنة وحسن التدبير فضلاً عن الورع والصلاح.

وقد استطاعت أمهات العلماء تحقيق غايتهن من خلال العناية كافة الأبعاد البنائية للشخصية المسلمة متخذات من البُعد الإيماني منطلقاً لتحقيق كافة الأبعاد الأخرى مع إعطاء عناية للبعد العقلي لخصوصيته في إعداد العلماء.

وفي ضوء نتائج الدراسة فإني أوصي بضرورة العناية بإعداد الفتيات المسلمات وتأهيلهن للقيام بالدور المهم المنوط بهن من خلال الأسرة والمؤسسات التعليمية والمؤسسات الإعلامية مع أهمية الاعتناء بتاريخ النساء المسلمات وإبراز دورهن في بناء الحضارة الإسلامية ليكنّ موضع القدوة ومن جانب آخر فعلى المرأة المسلمة النهوض بالواجبات المطلوبة منها بأمانة وإخلاص متجاوزة العقبات النفسية والمادية لإخراج جيل مسلمٍ قادرٍ على تحمل الأمانة.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الفصل التمهيدي

خلفية الدراسة وأهميتها



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد:

ظلت مسألة تربية النشء وإعداد الجيل المسلم من أكثر المسائل التي شغلت أذهان المفكرين والتربويين المسلمين على مر العصور، ومع تزايد التحديات والمعوقات أمام نهضة الأمة المسلمة وقيامها بمسؤولياتها أخذت تلك المسألة أبعاداً أكثر عمقاً وأهمية وأصبحت الشغل الشاغل للدعاة والمصلحين الغيورين من أبناء هذه الأمة.

ولمّا كانت المرأة العنصر الأكثر استهدافاً في عملية تربية النشئ بالنظر إلى خطورة الدور الذي يمكن أن تؤديه خاصةً عندما تكون أماً، ونظراً لما للعلماء من أهمية من حيث عظم الأمانة المنوطة بهم في عملية إصلاح الأمة وصيانتها والمضي بها قدماً نحو حمل أمانة الاستخلاف في الأرض على النهج الصائب، فقد جاءت هذه الدراسة عن دور الأم المسلمة في إعداد العلماء لإبراز عظمة الدور الذي يمكن أن تؤديه المرأة أماً في إعداد العلماء الذين هم منارات تهتدي بعلمهم الأمة عندما تشتبه عليها الأمور أو تعصف بها الفتن.

أهمية الدراسة:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من موضوعها الذي يتضمن التعرف إلى مجهودات الأمهات في إعداد العلماء، والذي يشتمل بدوره التعرف إلى الدور البارز الذي يمكن أن تقوم به الأم في نهضة الأمة وبالتالي إدراك مبلغ العناية والرعاية التي ينبغي أن تحظى بها المرأة لتأهيلها للقيام بهذا الواجب.

كما كشفت الدراسة عن عاملٍ أساسي في نبوغ العلماء أُهمل ذكره تاريخياً على الرغم من أهميته وهذا ما جعل هذه الدراسة تزداد أهمية إذ أنها – في حدود علمي- الدراسة الوحيدة عن دور الأمهات المسلمات في إعداد العلماء وقد كان هذا من أهم الدوافع

التي حدت بالباحثة إلى اختيارها. لذا فمن المتوقع لهذه الدراسة أن تقدم إسهامات في المجالات الآتية:

١- زيادة الاهتمام بإعداد المرأة المسلمة لتكون أماً فاعلة وذلك من خلال المناهج والبرامج المعدّة لذلك. بعيداً عن المناهج الغربية.

٢- لفت انتباه المؤرخين إلى ضرورة رصد كل ما من شأنه أن يسهم في بناء الأمة ونهضتها ومن ذلك الأدوار التي قامت بها المرأة، خاصةً في مجال التربية.

٣- تحفيز الأمهات المسلمات للقيام بذلك الدور الذي قامت به أمهات علمائنا الأجّلاء من القدامى والمحدثين.

أسئلة الدراسة:

وتتحدد في السؤال الرئيس الآتي: ما دور الأم في إعداد العلماء؟

وتتمّ إجابة هذا السؤال من خلال إجابة الأسئلة الفرعية الآتية:

١- ما مكانة المرأة المسلمة ؟ وما دورها في التربية؟

٢- ما النماذج التي تُظهر دور الأمهات في إعداد العلماء؟

٣- ما الأبعاد البنائية في إعداد العلماء؟

التعريفات الإجرائية:

ستعمد الباحثة إلى تعريف المصطلحات الواردة في الدراسة إجرائياً على النحو الآتي:

العالم: وهو من شهد له أهل العلم والفضل بالعلم، واشتهر وعُرف في بلده أو في سائر البلدان بآرائه أو مصنفاته أو كثرة أتباعه، وكان له دورٌ في الإصلاح.

الأبعاد البنائية: وهذا المصطلح كما عرفه التربويون يعني الركائز الأساسية التي تستند إليها تربية الشخصية المسلمة والتي تُعتبر من العوامل الأساسية لمنطلقات السلوك الإنساني.

محددات الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على إبراز دور الأم في إعداد العلماء المسلمين، ولم أحصر النماذج ضمن فترة زمنية أو حقبة تاريخية محددة لندرة النماذج التي استطعت الوقوف عليها.

الدراسات السابقة:

قامت الباحثة بمراجعة دليل الرسائل الجامعية في مركز الإيداع بالجامعة الأردنية وجامعة اليرموك، ودليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية) ولم تعثر في ضوء هذا التحري على دراسة تضمنت ذات البحث موضوع الدراسة .

وأغلب الدراسات التي أفادت منها الباحثة متعلقة بالفصل الأول الذي هو مدخل لموضوع الدراسة وهي دراسات تناولت الأسرة وأهميتها مشيرة إلى دور الأم بصورة عامة.

فعلى الرغم من كثرة البحوث المتعلقة بالمرأة، إلا أنها في الأغلب تخلو من العمق المنشود فلا تعتبرها من حيث القيمة الحياتية لدى الأمم، وخاصة أمتنا الإسلامية نقطة الارتكاز، وأن وظيفتها التربوية على الأرض مهمة كوظيفة الرجل بل ربما كانت أكبر.
ومن تلك الدراسات التي أفادت منها الباحثة في الفصل الأول من الرسالة في بعض الجوانب ما كتبه محمد عبدالحكيم خيال ومحمود الجوهري في كتاب (الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية) وما كتبه عبدالله أحمد في كتابه (بناء الأسرة الفاضلة).

منهج الدراسة:

اتبعت الباحثة المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي لإتمام هذه الدراسة ، وقامت بالإجراءات الآتية لتحقيق ذلك:

- التعريف بمكانة الأم المسلمة ودورها في التربية بالرجوع إلى المراجع التربوية الإسلامية .
- قامت الباحثة بالاطلاع على جميع المراجع – في مكتبة جامعة اليرموك- الواردة بأسماء شخصيات علمية إسلامية للوقوف على من ورد ذكر أمهاتهم ولو بإشارة يسيرة.
- الرجوع إلى كتب التراجم الأصلية.
- الاتصال بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية للحصول على أية معلومات تخدم هدف الدراسة .

- عرض النماذج التي استطاعت الباحثة الحصول عليها عرضاً يبرز دور الأمهات في إعداد تلك النماذج.
- وعلى صعيد المجال التخصصي قامت الباحثة بدراسة وتحليل أدوار الأمهات في إعداد أبنائهن من العلماء من خلال الأبعاد البنائية الأساسية للشخصية المسلمة، مبينة من خلال ذلك عظمة الدور الذي قامت به الأمهات وتكامله.
- تدعيم القيم والآراء التربوية ببعض الآيات والأحاديث النبوية الشريفة الواردة في كتب الحديث المختلفة.
- عزو الآيات إلى سورها وتخريج الأحاديث الواردة في الدراسة من مظانها.
- توثيق النصوص المعتمدة وردها إلى مصادرها، إلاّ إذا تعذر ذلك -وهو قليل- فيكتفى بالمراجع الدالة على الأصول.
- الإشارة إلى أبرز النتائج والتوصيات التي خرجت بها الباحثة.

أبرز صعوبات الدراسة:

إن أبرز مشكلة واجهت الباحثة هي ندرة المعلومات عن أمهات العلماء، فإن أشير إليهن فبإشارات مقتضبة، مما استنفد أغلب وقت وجهد الباحثة لاعتمادها على كتب التراجم التي لم تصنف حسب الموضوعات.

خطة البحث:

تشتمل هذه الدراسة على المحتويات الآتية:

الفصل التمهيدي : خلفية الدراسة وأهميتها

١. المقدمة
٢. أهمية الدراسة
٣. أسئلة الدراسة
٤. التعريفات الاجرائية
٥. محددات الدراسة
٦. الدراسات السابقة

٧. منهج الدراسة

٨. صعوبات الدراسة

٩. خطة البحث

الفصل الأول: مكانة الأم في الإسلام ودورها في التربية

- المبحث الأول: مكانة الأم في الإسلام
- المبحث الثاني: أهمية التنشئة الأسرية في التربية
- المبحث الثالث: إعداد الأم واختيارها
- المبحث الرابع: واجبات الأم المسلمة في تربية الأبناء

الفصل الثاني: نماذج من إعداد الأمهات للعلماء

- المبحث الأول: نماذج من الأعلام المتقدمين
- المبحث الثاني: نماذج من الأعلام المتأخرين والمعاصرين.

الفصل الثالث: الأبعاد البنائية في إعداد العلماء المسلمين

- المبحث الأول: البعد الإيماني
- المبحث الثاني: البعد الأخلاقي
- المبحث الثالث: البعد العقلي
- المبحث الرابع: البعد النفسي
- المبحث الخامس: البعد البدني (الرعاية الصحية)
- المبحث السادس: البعد الاجتماعي

خاتمة وتشمل على :

- النتائج
- التوصيات
- المصادر والمراجع
- الملخص باللغة الإنجليزية

الفصل الأول

مكانة الأم في الإسلام ودورها في التربية

المبحث الأول

مكانة الأم في الإسلام

أكدت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على مكانة الأبوين، لذا فقد وجهت هذه النصوص الأبناء للعناية بآبائهم عناية تليق بمكانتهم، ذلك أن الأبوين قدما للإبن الكثير الكثير أثناء فترة ضعفه.

وتتمثل تضحيات الوالدين وخاصة الأم بالحمل والإرضاع والتربية وغير ذلك، فوجب على الأبناء الإحسان الى آبائهم وبرهم على أكمل وجه. وتتبين مكانة الأم السامية في الإسلام في الأمور التالية:

١- الاقترن بين عبادة الله تعالى وبر الوالدين:

قرن الله جل شأنه بين عبادته وبر الوالدين في قوله: ***{وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً}***[١]، وفي قوله: ***{واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً}***[٢].

وذلك لكي يأخذ الأمر هنا صفة التأكيد بعد الأمر المؤكد بعبادة الله تعالى[٣]. وأنه لا فضل لأحد على الإنسان بعد الله تعالى أكثر من فضل الوالدين، ولا أعظم من تضحياتهما له، إذ أن نعم (الوالدين تنهمر على ولدهما وهو في مراحل ضعف الإدراك وقلة الوعي ... إنه يحسب ذلك الإغداق يجيء تلقائيا من جهة ملزمة به ليس لها بعد حقوق! وكذلك يصنع الناس مع ربهم!... ومن ثم فقلما يحسون الشكر العميق على ما يصبحون ويمسون من أعطية الله وأفضاله)[٤] فجاءت الآيات تخلص الأبناء من صفة الجحود لآبائهم وتناسي فضلهم وتحذرهم من ذلك تماما كما ينبغي الحذر من جحود الخالق.

---

[١] سورة الاسراء، الآية ٢٣ .

[٢] سورة النساء، الآية ٣٦ .

[٣] سيد قطب، في ظلال القران، ٢٢٢/٤ .

[٤] الغزالي، محمد، قضايا المرأة، ١٣٦ .

وفي آية أخرى يقرن المولى تعالى بين شكر الوالدين وشكره فيقول: ﴿أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير﴾[1].

فنشكر الله على نعمة الإيجاد ونعمة الإيمان التي هي من أعظم النعم، ونشكر الآباء على نعمة التربية[2]، ذلك أن التربية هي التي تجعل الفرد يستقيم على النهج الصحيح، وقد يكون سوء التربية سبباً في الخروج من دائرة الإيمان، كما يفهم من حديث الرسول ﷺ "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه..."[3].

وفي الحديث الصحيح، سُئل النبي ﷺ أيّ العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: "الصلاة على وقتها"، قال: ثم أيّ؟ قال: "ثم برّ الوالدين"، قال: ثم أيّ؟ قال: "الجهاد في سبيل الله"[4].

فانظر كيف جعل الله تعالى بر الوالدين بين أفضل الأعمال، وأوكدها الصلاة التي هي من أعظم دعائم الاسلام، والجهاد الذي هو ذروة سنام هذا الدين. فكما قرن الله عز وجل في الآية السابقة بين شكره وشكر الوالدين، قرن رسوله الكريم ﷺ بين الصلاة التي هي شكر لله تعالى، وبين بر الوالدين الذي من صوره شكرهما بالدعاء لهما في أدبار الصلاة كما ذهب إلى ذلك سفيان بن عيينة[5].

فدلّ الحديث على أن بر الوالدين من أعظم الأعمال التعبدية التي يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى لنيل رضاه. وقد قدم الإسلام برّ الأم وتلبية ندائها على أخص العبادات، قال رسول الله ﷺ "إذا دعتك أمك في الصلاة فأجبها ..."[6]

بل إنه جعل طاعتها أوجب من العبادة بمفهومها الشامل كما يفهم من قصة العابد "جريج" مع أمه[7].

---

[1] سورة لقمان، الآية : ١٤ .

[2] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ٦٥/١٤ .

[3] البخاري، الصحيح بشرح فتح الباري، ٤٦٥/٩، كتاب التفسير، باب ٣٠.

[4] البخاري، الصحيح بشرح فتح الباري، ٤١٤/١٠، حديث، ٥٩٧، باب البر والصلة.

[5] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القران، ٦٥/١٤ .

[6] السيوطي، الدر المنثور، ج٤ ص٣١٥، وقال أخرجه البيهقي .

[7] المنذري، زكي الدين، مختصر مسلم، ص٤٦٣، باب تقديم بر الوالدين على العبادة، حديث ١٧٥٥.

٢- **تقديم بر الأم على بر الأب:**

فقد صح عن رسول الله ﷺ مارواه أبو هريرة أنه جاءه رجل يسأله "من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك [١]. فالحديث دال على أن محبة الأم والشفقة عليها وطاعتها ينبغي أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب. وذلك أن الأم تنفرد بثلاث مشقات يخلو منها الأب وهي صعوبة الحمل، وصعوبة الوضع، وصعوبة الرضاعة والحضانة. كما أشار الى ذلك بعض شراح الحديث [٢].

وقد جاء التصريح بما تعانيه الأم من هذه النواحي بقوله تعالى: ***{ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا، حملته أمه كرها ووضعته كرها، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا}*** [٣]، وقوله: ***{ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن}*** [٤]. فمنذ أن يكون ولدها جنينا في رحمها يمتص خلاصة ما في جسمها من ماء الحياة، ثم الوضع وما فيه من آلام هائلة، ثم الرضاعة والرعاية وما تمنحه الأم فيهما من عصارة لحمها وعظمها في اللبن، وعصارة قلبها وأعصابها في الرعاية دون أدنى تذمر وهي في قمة السعادة، كل ما ترجوه سلامته ونموه.[٥] وقد أشار الرسول ﷺ إلى ما تعانيه المرأة في الحمل والوضع والرضاعة من خلال ما ذكر من أجر عظيم، فيقول ﷺ : "المرأة في حملها إلى وضعها إلى فصالها كالمرابط في سبيل الله، فإن ماتت فيما بين ذلك فلها أجر شهيد".[٦]

واستفتى رجل الإمام مالك في أمر أبيه يأمره بأمر، وتأمره أمه بخلافه، وكلاهما مباح أيهما يطيع فأجابه: بضرورة طاعة الأب وعدم معصية الأم، فساوى بين برهما، ولما سئل الليث عن ذات المسألة أمر بطاعة الأم جاعلا لها ثلثي البر. والى هذا ذهب المحاسبي على اعتبار أنه لا خلاف بين العلماء في أن للأم ثلاثة أرباع البر وللأب الربع استنادا إلى حديث "من أحق الناس بحسن صحابتي"[٧].

---

[١] البخاري، الصحيح بشرح فتح الباري، ٤١٥/١٠، حديث: ٥٩٧١، باب من أحق الناس بحسن الصحبة؟

[٢] ابن حجر ، فتح الباري ، ج ١٠ ص ٤٠٢

[٣] سورة الأحقاف، الآية: ١٥ .

[٤] سورة لقمان، الآية: ١٤ .

[٥] انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ٤١٥/٧.

[٦] الطبراني، المتقي الهندي، كنز العمال، رقم (٤٥١٦٠).

[٧] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٣٩/١٠ .

والأولى محاولة التوفيق بين برهما ما أمكن، مستخدماً فطنتـــه وذكاءه وحســن تصرفه في التعامل معهما حتى لا يثير ما قد يوجد في نفس أحدهما من حساسية التمـــيز بينهما.

٣- أوجه البر بالوالدين وصوره:

فإن كان للوالدين هذا الحق من البر، والأم على وجه الخصوص، فلنقـــف علـــى بعض أوجه البر التي عرضتها النصوص الشرعية، مظهرةً أنه لا أحد أحق بـــبر الإبـــن ورعايته من والديه، إذ عليه أن يلحظهما في كل سكناته وحركاته، فرُبّ سكنة أو حركـــة تدخله الجنة ورُبّ أخرى تجعله في دائرة العقوق فإذا هو من أصحاب الكبائر ومن برهما:

أ- عدم الخروج إلى الجهاد إلا بإذنهما:

وقبل الخوض في هذا الموضوع ينبغي الإشارة إلى أن الجهاد المراد هنا هو ما كان فرض كفاية، أما إذا لم يكن بإزاء العدو من قام بفرض الخروج فعليه فعل ذلـــك بغير إذنهما، لأنه يصبح حينئذٍ فرض عين[١]. والقاعدة في ذلك معروفة، وهي أنه متـــى اجتمعت الفروض أو المندوبات قُدم الأهم منها[٢].

وقد أشير سابقاً إلى حديث رسول الله ﷺ الذي جعل بر الوالدين قبل الجهاد، وفـــي حديث آخر حينما استشار رجلٌ النبي ﷺ في الغزو، قال له: (هل لك أم؟)، قـــال: نعـــم، فقال: "فالزمهـا فإن الجنة تحت رجليها"[٣]. بل إنه أمر من قطع مسافة شاسعة من أجـــل الجهاد بغير إذن أبويه بالرجوع إليهما، فقد روى أبو سعيد الخدري -رضي الله عنـه- أن رجلاً هاجر إلى رسول الله ﷺ من اليمن، فقال له ﷺ: "هل باليمن أبواك"، قال: نعم، قال: (أأذنا لك؟)، قال: لا، فقال: ﷺ "ارجع فاستئذنهما فإن أذنا لك، وإلا فبرهما"[٤].

وموافقة الوالدين في أي أمرٍ كان ليست على أية صورة كانت[٥]، بل لا بـــد مـــن توافر العلامات الكافية الدالة على تمام رضاهما، وهو ما يؤخذ من أمر الرسول ﷺ لمـــن

---

[١] الجصاص، أبو بكر الرازي، أحكام القران ١٩٤/٢ .

[٢] القرطبي، الجامع، ٢٤٠/١٠ .

[٣] النسائي، سنن النسائي، ١١/٦، كتاب الجهاد باب الرخصة في التخلف لمن له والدة.

[٤] ابن حجر، فتح الباري، ٤١٧/١٠، شرح حديث لا يجاهد إلا بإذن الأبوين.

[٥] حمدان، مصطفى علي، حواء التي أنصفها الاسلام، ص٨٣ .

جاء يبايعه على الهجرة، وترك أبويه يبكيان فقال: "ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما"[1].!!!

وقد ذهب ابن المنذر[2] إلى أن الأجداد آباء، والجدات أمهات، فلا يغزو المرء إلا بإذنهما[3]. فإن كان إذنهما واجباً في الجهاد على أهمية الجهاد ومنزلته، فمن باب أولى برهما وطاعتهما فيما هو دون الجهاد من أعمال. هذه صورة من صور البر الدالة على مبلغ تلك المنزلة التي منحها الله تعالى للوالدين عموماً وللأم خصوصاً، ومن الأوجه الدالة على تلك المنزلة أيضاً.

ب- بر الوالدين المشركين:

فلا يختص البر بالوالدين المسلمين بل ويُحسن إليهما وإن كانا مشركين إذا كان لهما عهد[4] لقوله تعالى: ***{لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم}*** [5].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، قالت: أتتني أمي راغبة فسألت النبي ﷺ: أأصلها ؟ قال: "نعم"، فأنزل الله فيها ***{لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم}*** [6][7].

ولعل في إلزام الأبناء ببر الوالدين المشركين ما يُشعر بوجوب برهما مسلمين على أية حال كانا عليها من المعصية وسوء الخلق والمعاملة مع ضرورة التنبه إلى أن برهما يكون بالإحسان إليهما واللين في مجاملتهما، لا الطاعة العمياء، بل بالحدود المشروعة للطاعة فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (ما من مسلم له والدان مسلمان يُصبح

---

[1] البخاري، الأدب المفرد، ص١٧، باب جزاء الوالدين.

[2] ابن المنذر، محمد بن ابراهيم النيسابوري أبو بكر الفقيه، له كتاب "الإشراف في اختلاف العلماء" وكتاب "الإجماع" وكتاب "المبسوط" وغيرها، عداده في فقهاء الشافعية، توفي سنة (٣١٨) انظر: الذهبي "السير" ج١٤ ص٤٩٠، والشيرازي "طبقات الفقهاء"، ص١٠٨ .

[3] القرطبي، الجامع، ١٠/٢٤٠-٢٤١ .

[4] المرجع السابق، ٢٣٩/١٠ .

[5] سورة الممتحنة، الآية : ٨ .

[6] سورة الممتحنة، الآية : ٨ .

[7] البخاري، الصحيح بشرح فتح الباري، ٤٢٧/١٠، باب صلة الوالد المشرك.

إليهما محتسباً إلا فتح له الله بابين -يعني في الجنة- وإن كان واحدٌ، فواحد، وإن أغضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضى عنه، قيل: وإن ظلماه، قال: وإن ظلماه)[1].

أما لماذا بر الوالدين المشركين على الرغم من كفرهما؟! فذلك لأن البر إنما هو مقابل ما فعلاه لإبنهما من معروف ورعاية وتربية وهذا ما يشترك به الآباء سواءً كانوا مؤمنين أم مشركين[2].

ج- برهما عند الكبر:

ويتأكد برهما عند الكبر وإن كان الأمر بالبر شاملاً لجميع الأوقات سواءً أدرك أبويه كبيرين أم لا، إلا أن مرحلة الشيخوخة لها من الأحكام الخاصة ما يجعل البر فيها أشد وجوباً، لوجود الحاجة الفعلية لإعالة الأبوين والإنفاق عليهما ورعايتهما، ولذا يخصّ الله تعالى هذه المرحلة بالذكر ***{إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً}***[3].

فيستجيش القرآن الكريم بهذه العبارات مكامن البر والرحمة في قلوب الأبناء (ذلك أن الحياة وهي مندفعةٌ في طريقها بالأحياء، توجه اهتمامهم القوي إلى الأمام إلى الذرية ... وقلما توجه اهتمامهم إلى الوراء، إلى الأبوة ... ومن ثم لا يحتاج الآباء إلى توصية بالأبناء، إنما يحتاج هؤلاء إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليدركوا واجب الجيل الذي أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف!)[4].

فهذه الحالة من الضعف التي يصل إليها الآباء عند الكبر، تشبه تلك التي كان عليها الأبناء في الصغر، وكما كانت رعاية الأبوين لأبنائهم رعاية محاطة بالبذل والتضحية والتفاني، مصبوغة بالرضى والسعادة، كذلك ينبغي أن تكون عناية الأبناء بالآباء ومهما بلغتْ تضحية الأبناء فلن تبلغ ما قدمه الآباء خاصة الأم.

فحالة الكبر يرافقها ويلازمها الضعف، فيشعر معها الآباء بالحاجة إلى الالتجاء والاحتماء بالأبناء، وهذا ما توحي به كلمة "عندك"[5].

---

[1] البخاري، الأدب المفرد، ١٥، باب بر والديه وإن ظلماه.

[2] أيوب، حسن، السلوك الاجتماعي، ٢٥٧ .

[3] سورة الإسراء، الآية: ٢٣ .

[4] قطب، سيد، في ظلال القران، ٥/٣١٧-٣١٨ .

[5] المرجع السابق.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "رغم أنفه، رغم انفه، رغم أنفه"، قيل: من يا رسول الله؟ قال: "من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخلاه الجنة"[١].

وفي قوله إشارة وتلميح بكثرة أوجه البر عند الكبر وتعددها بحيث لا يبقى للأبناء عذر إن قصرّوا، فهذه فرصة للأبناء ينبغي أن لا تفوت لدخول الجنة من أوسع الأبواب.

د) برهما بعد مماتهما:

فلا ينقطع البر بالوالدين أبدا، فمن تمامه أن يستمر بعد الممات جاء رجلٌ من الأنصار إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله هل بقي عليّ من بر أبوي شيء بعد موتهما أبرهما به؟ قال: "نعم، خصال أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما"[٢].

إذا فعلامات الود تبقى حتى بعد انقضاء الأجل فها هو ﷺ يهدي لصديقات خديجة رضي الله عنها، برا بها، ووفاء لها وهي زوجته فكيف بالأم؟!![٣]

والبر بها بعد مماتها كما أخبر النبي ﷺ بالدعاء لها وطلب المغفرة، والوفاء بما في ذمتها من عهود، وصلة رحمها وإكرام صديقاتها وإخراج الصدقة عنها، وكلها أعمال لها أثر في نفوس الناس فيشيع الذكر الطيب لها والترحم عليها من قبل أقاربها وصديقاتها، فضلا عن نيل رحمة الله ومغفرته بالدعاء المباشر لها.

سأل سعد بن عبادة رضي الله عنه رسول الله ﷺ : "يا رسول الله إني كنت أبر أمي وإنها ماتت فإن تصدقت عنها أو أعتقت عنها ينفعها ذلك؟ قال: "نعم"، قال فمرني بصدقة، قال: اسقي الماء ..."[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (يرفع للميت درجته، فيقول: أي ربي أي شيء هذا، فيقول له: ولدك استغفر لك)[٥].

---

[١] مسلم، الصحيح، كتاب البر باب: "رغم أنف من أدرك أبويه ... فلم يدخل الجنة".ح (٢٥٥١) ج٤ ص١٥٧٠

[٢] الأدب المفرد، باب بر الوالدين بعد موتهما، ص٢٥ .

[٣] مسلم، الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب فضائل خديجة ح (٢٤٣٥).ج٤ ص ١٥٠٤ .

[٤] ابن الجوزي، أحكام النساء، ص٦٠ .

[٥] البخاري، الأدب المفرد، باب بر الوالدين بعد موتهما، ص٢٥ .

فما أشد عظمة هذا الدين!! أي مبلغ بلغه في تكريم الأم، فقوة الرابطة تتوثق بينها وبين أبنائها وتزداد كل يوم، فيعظم حقها في النفوس مما يجعلها حاضرة في الوجدان، وإن غابت عن العيان، فالعلاقة ليست كأي علاقة إنسانية أخرى قد تتبدل أو تتغير أو يعتريها الفتور، ذلك أنها تسمو فوق كل الروابط، كما أنها محاطة بالتوجيه والتذكير الدائم والحث المستمر على العناية بها. يقول ﷺ : "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له"[١].

فكأن الأبوين ببذل الجهد في تربية الأبناء يعملان لما بعد الحياة!!! فصلاح الإنسان إنما هو من سعيه – في الأغلب– وله نصيب منه كما قرره تعالى في قوله: ﴿***وأن ليس للإنسان إلا ما سعى***﴾[٢].

٤- نماذج من البر:

حدث في صدر الإسلام أن كان ابن عمر مع رجل يماني يطوف بالبيت وقد حمل أمه وراء ظهره يقول :

إني لها بعيرها المذلل ... إن أذعرت ركابها لا أذعر

ما حملت وأرضعتني أكسر ... الله ربي ذو الجلال أكبر

ثم قال: يا ابن عمر، أتراني جزيتها؟ فأجابه ابن عمر: لا، ولا بزفرة واحدة[٣].

فكم من الأبناء فعل فِعلَ الرجل اليماني؟ ومع ذلك فلا يُعد فعله جزاءً، بل لا يتعدى كونه من أوجه البر.

وكلام ابن عمر يُشعر المرء بأن جزاء الأمهات ليس بالأمر اليسير مما يدفع الأبناء إلى الجد والعزم لتحقيقه دون أن يحدثوا أنفسهم، بأنهم جزوهن بكذا وكذا، فقد يؤدي بهم ذلك إلى التهاون والتقصير ثم لا يؤمن عليهم العقوق.

ومن النماذج ما جاء في الحديث عن الثلاثة نفر الذين انطلقوا يرتادون لأهليهم فدخلوا غاراً فسقط حجر أغلق عليهم باب الغار، فقاموا يدعون الله بأوثق أعمالهم ... فقال أحدهم (يا رب كان لي أبوان كبيران فقيران ليس لهما خادم ولا راعٍ ولا والٍ غيري،

---

[١] المنذري، مختصر صحيح مسلم، ص٢٥٩، حديث ١٠٠١، باب: ما يلحق الإنسان ثوابه بعد .

[٢] سورة النجم، الآية : ٣٩ .

[٣] البخاري، الأدب المفرد، ١٦ .

أرعى لهما بالنهار وآوي إليهما بالليل وإن الكلأ تباعد فتباعدت بالماشية فأتيتهما يعني ليلة بعدما ذهب من الليل، وناما فحلبت في الإناء ثم جلست عند رؤوسهما يعني بالإناء كراهية أن أوقظهما، حتى يستيقظا من قبل أنفسهما ...)[1] فكان هذا البر سبباً لتفريج الكرب الذي وقع فيه.

ومن ذلك أن أبا هريرة كان يستخلفه مروان، وكان يكون بذي الحليفة، فكانت أمه في بيت وهو في آخر، قال: فإذا أراد أن يخرج وقف على بابها فقال: (السلام عليك – يا أمتاه – ورحمة الله وبركاته، فتقول وعليك يا بني ورحمة الله وبركاته، فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيراً فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيراً، ثم إذا أراد أن يدخل صنع مثله)[2].

هذا هو حق الأم من البر إذ ينبغي للأبناء أن يتصفوا في تعاملهم مع الأباء بدقة الإحساس إلى حد ملاحظة حواس الآباء ليستشفوا من سكناتهم وحركاتهم ما يُرضيهم وما يسخطهم، فلا ننتظر من الآباء أن يعلنوا ويصرحوا بسخطهم وغضبهم، إذ لا ينبغي أن نلجئهم إلى ذلك وهم الذين اعتادوا التضحية فلن يجهروا بالشكوى إلا إذا بلغ الأمر مبلغه، فإن حدث مثل ذلك كان هذا دليل تبلد ذهن الأبناء وعدم مبالاتهم وإهمالهم للآباء.

٥- عقوق الأمهات:

وعقوق الوالدين هو (مخالفتهما في أغراضهما الجائزة لهما)[3].

ويعرفه ابن حجر فيقول: أنه مأخوذ من العق وهو القطع والمراد به كل ما يتأذى به الوالد من ولده من قوله أو فعله ما لم يتعنت الوالد[4].

إذاً فهو التقصير في القيام بحقوقهما ومخالفة أمرهما في الأمور المشروعة. وقد جعل الإسلام العقوق كبيرة من الكبائر بصريح حديث رسول الله، قال: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور ..."[5].

---

[1] الهيثمي، علي، مجمع الزوائد، ٨٠/١٤٠-١٤٤ .

[2] البخاري، الأدب المفرد، ١٦ .

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القران، ٢٣٨/١٠.

[4] ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٤٢٠/١٠ .

[5] المرجع السابق، ٣١٩/١٠، حديث ٥٩٧٦، باب: عقوق الوالدين من الكبائر.

فجعل النبي ﷺ عقوق الوالدين كبيرة لا يكبرها إلا الإشراك بالله، مما يجعل النفس تنفر منه وتتجنبه فهو من الأمور المهلكة، فيتجنب المؤمن الوقوع فيه، ولا يستهين بأقل الأمور المؤدية إليه وهو ما دل عليه قوله تعالى "فلا تقل لهما أف"[1]. وهو ما يكون فيه أدنى تبرم فهو الكلام الرديء الخفي، فقد روي من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "لو علم الله من العقوق شيئا أردأ من "أف" لذكره، فليعمل البار، ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار، وليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة"[2].

وذلك لما توقعه هذه الكلمة من أسى ومرارة في نفوس الآباء بعد كل الذي قدموه للأبناء، ولما تحمله من معاني الاستهزاء والتقليل من شأن الأبوين.

وأكبر أنواع العقوق للآباء التعدي عليهما بالضرب، وهو مما لا يتجرأ عليه إلا من فقد دينه وخلقه بل وأدنى درجات الذوق والحياء، وحدوث مثل هذا الأمر دليل أيضا على فساد المجتمع إذ لو كان مجتمعا مسلما لما تجرأ أفراده على الخروج عن مبادئه وأخلاقه. فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه أبصر رجلين فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ فقال: أبي ... فقال أبو هريرة "لا تسمه باسمه، ولا تمش أمامه، ولا تجلس قبله"[3].

إذا فمن العقوق مناداة الآباء بأسمائهم، واستمع في ذلك إلى مناجاة إبراهيم عليه السلام لأبيه في قوله تعالى: ***{وإذ قال لأبيه يا أبت، لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولايغني عنك شيئا}***[4].

وكيف يكرر هذا النبي الكريم الذي أدبه الله تعالى الخطاب بهذه اللفظة التي تحمل في ثناياها معاني الاحترام والود والشفقة ومعرفة مقام المخاطب في نفس مخاطبه.

إن مناداة الابن لأبويه بلفظ أمي وأبي مما يدخل السرور على قلبيهما ويؤكد الصلة ويقوي الرابطة، فهو لن ينقطع عن مخاطبتهما في أي حال من الأحوال، فهما ليس كآحاد الناس، بل هما الأب والأم، فإذا ابتدأ حديثه مع أمه بقوله : أمي، كان في ذلك توطئة نفسية لإحسان الكلام والمخاطبة لها.

---

[1] سورة الإسراء، الآية : ٢٣ .

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ٢٤٣/١٠ .

[3] البخاري، الأدب المفرد، باب لا يسمي الرجل أباه ، ص٢٧ .

[4] سورة مريم، الآية : ٤٢ .

وكما لا ينبغي تسميتهما بالاسم فكذا الأمر في المسير إذ لا ينبغي له السير أمامهما لما يوحي به ذلك من عدم المبالاة وقلة الاحترام إذ من المعلوم أن التابع يتبع المتبوع وكلما ارتقت درجة المرء كُلما قُدم في المسير و المجلس.

ثم لا ينبغي له الجلوس قبلهما ولا يحدّ النظر بهما أثناء الحديث تأدباً معهما. قال عروة بن الزبير: (ما برّ والده من أحد النظر إليه)[١].

ومن العقوق أن يلجئ أبويه إلى الأعمال الوضيعة[٢]. فليس من البر أن يدع أمه تخدم الناس وتغسل ثيابهم، وتسقي لهما الماء ولا يصونها بما ينفق عليها[٣].

وذهب ابن حزم في ذلك إلى أنه ينبغي له بيع كل ما به غنى عنه من عقار وغيره لصون أبويه عن الأعمال الوضيعة[٤].

هذه بعض من صور العقوق وينبغي التنبه إلى ما سواها، فالعقوق من أكثر ما يوقع صاحبه في الهلاك إذ لا تقتصر عقوبته على الآخرة بل يعجّلها الله له أيضاً في الدنيا، يقول ﷺ: "كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله تعالى يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات"[٥].

---

[١] الجصاص، أحكام القران، ١٩٧/٣ .

[٢] حسن، أيوب، السلوك الاجتماعي في الاسلام، ص٢٥٨ .

[٣] ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ٥٥١/٥ .

[٤] ابن حزم، المحلى، ١٠١/١٠.

[٥] الحاكم، المستدرك، ١٥٦/٤، كتاب البر والصلة.

المبحث الثاني
أهمية التنشئة الأسرية

١- مكانة الأسرة:

الأسرة وحدة بناء الأمة ونواة المجتمع، وكلما قويت هذه اللبنة كلما انعكس ذلك على مناعة المجتمع، وهذا ما جعل الإسلام يعطي الأسرة عناية خاصة لتدعيمها وحمايتها من الانحلال والتفكك.

ودور الأسرة دورٌ أساسي لا يمكن أن تقوم به وتؤديه أي مؤسسة أخرى مهما توافر فيها من الظروف، وذلك لأنه لا توجد مؤسسة فيها من الخصائص والمعطيات ما يماثل تلك المتوفرة في جو الأسرة مما يجعلها بيئة فريدة متكاملة لبناء الفرد وتربيته، وإذا قُدِّر أن يحال دور الأسرة إلى مؤسسات أخرى فإن خللاً كبيراً سيحدث في المنظومة التربوية للأبناء.

ولما تمتاز به الأسرة من خصائص، كانت مجالاً فريداً لغرس المفاهيم والقيم الأساسية التي يتلقاها الفرد من أبويه قبل سماعها من أية مصدر آخر، فتبقى هذه المفاهيم والقيم الميزان الثابت الذي يقيس عليه الفرد كل ما يعرض له في مستقبله.

وهذا مما يزيد من أهمية الأسرة كلما تقدم الزمن الذي يرافقه مزيد من التعقيد واختلاط المفاهيم، مما يجعل النشئ أكثر حاجة إلى ثوابت يرتكزون عليها تشكل مرجعيتهم.

وقد دلت الخبرات والتجارب الخاصة والعامة على أثر الأسرة العميق في تشكيل الشخصية، لا سيما خلال مرحلة الطفولة المبكرة[1]، وهذا ما يستدعي منا التطرق إلى هذه المرحلة وأهميتها في بناء الشخصية.

---

[1] أنظر، محمد خيال، الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرانية، ص١٨٣ .

٢- الطفولة منطلق التربية السليمة:

وتظهر لنا أهمية هذه المرحلة إذا ما أدركنا حكمة الخالق من جعل مرحلة الطفولة مرحلة طويلة نسبيا، إذا ما قيست بمراحل الطفولة عند الكائنات الأخرى[١].

ذلك أن مرحلة الطفولة هي القاعدة التي يتم من خلالها صياغة الشخصية وبلورتها في حدودها العامة، وطول هذه المرحلة يعكس حجم التربية التي ينبغي أن يتلقاها الطفل لتشغل ذلك الحيز الواسع.

إذا فهناك مجموعة كبيرة من القيم والاتجاهات لا بد من غرسها، وهناك العديد من الجوانب لا بد من رعايتها في هذه المرحلة، وما المراحل التالية إلا مراحل إنضاج وتطبيق لما تلقاه الفرد في طفولته.

فطبيعة الحياة التي يحياها كل إنسان من حيث الاخفاق أو النجاح، والسعادة أو الشقاء، معتمدة على ما تعرض له هذا الإنسان من مواقف متنوعة وإدراكات أيام الطفولة، كما أن ما يعانيه من انحرافات سلوكية ومشاكل، عائد إلى سقم الأساليب التربوية التي أتبعت بحقه أثناء مرحلة الطفولة[٢].

ولكي ندرك أهمية هذه المرحلة يجدر بنا أن نقف على خصائصها، فمن خصائص هذه المرحلة:

أ) أن الأسرة هي المصدر الرئيسي والمؤثر الأكبر في هذه المرحلة.

ب) يكون الطفل في هذه المرحلة سريع التأثر، لديه الاستعداد والقابلية الشديدة للتعلم والإيحاء.

ج) كونه قليل الخبرة وضعيف القدرة والإرادة، وهذا يجعله في حاجة دائمة إلى من يرعاه ويلبي حاجاته المختلفة.

د) مرحلة الطفولة تظهر فيها فعالية عملية التطبيع على السلوك[٣].

---

[١] عبدالله أحمد، بناء الأسرة الفاضلة، ص١٩١ .

[٢] المرجع السابق، ص١٨٤ .

[٣] محمد خيال، الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، ص١٨٣ .

٣- الأم قوام الأسرة:

(الشباب القوي الذكي ثمرة طفولة نجت من الإهمال والضياع وتعهدتها امرأة واعية ...)[١] لدورها ومسؤليتها كأم ناجحة.

فإن كان الأمر كذلك فالأم هي قوام الأسرة، وهي العنصر الأكثر فعالية في عملية التربية والتعليم في مرحلة الطفولة.

ولما كانت هي قوام الأسرة كان صلاح الأسرة من صلاحها وفساد الأسرة من فسادها غالباً وليس في هذا إنكار لدور الأب فكلا الوالدين شريك في التربية ومسؤول، إلا أن دور الأم أبلغ وأكبر أثراً وذلك لأسباب عدة منها:

أ- ملازمتها لولدها منذ الولادة إلى أن يشب ويترعرع[٢].

ب- عاطفة الأمومة، وتلك الفطرة القوية تجعلها أكثر صبراً وتحملاً على الملازمة والرعاية[٣].

ج- العلاقة والروابط الخاصة بين الأم وطفلها منذ أن كان جنيناً في أحشائها فهي تختص بالحمل والولادة والحضانة[٤].

ومما يدل على ذلك أيضاً أن الإسلام جعل الأم المطلقة أحق بحضانة الطفل وأولى به من الأب، وهذا فيه دلالة واضحة على أن دور الأم في هذه المرحلة بالذات أبلغ من دور الأب[٥].

ومن أبلغ ما قيل في ذلك قول تلك المرأة التي جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: "يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثدي له سقاء، وحجري له حِواء، وإنّ أباه طلقني وأراد أن ينزعه مني؟ فقال ﷺ (أنتِ أحق به ما لم تنكحي)"[٦].

ومن لطيف ما يورده صاحب زاد المعاد في ذلك عن الحسن البصري أنه سمع شيخاً، يقول: (تنازع أبوان صبياً عند بعض الحكام فخيره بينهما فاختار أباه فقالت أمه:

---

[١] الغزالي، محمد، قضايا المرأة، ص١٣٣ .

[٢] علوان، عبدالله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ص١٣٤.

[٣] أحمد عمر هاشم، مسؤولية الأم في تنشئة الأبناء، مجلة الفيصل، العدد (١٩٥)، ص٩٤.

[٤] أ.د. محمد البهي، مركز الأم في الاسلام، م٣٠، الجزء الحادي عشر والثاني عشر، مجلة الأزهر.

[٥] ابن حزم، المحلى، ١٠/١٤٣ .

[٦] سنن أبو داود، ٢/١٥٠، كتاب الطلاق باب من أحق بالولد.

اسأله لأي شيء اختار أباه؟ فسأله، فقال: أمي تبعثني إلى الكتاب كل يوم والفقيه يضربني، وأبي يتركني بالبيت ألعب مع الصبيان، فقضى به للأم، وقال: أنتِ أحق به)[١].

إذاً نستطيع أن نخلص إلى أن الأم بالفعل هي قوام الأسرة وصاحبة الدور الأبلغ في مرحلة الطفولة، فهي تلحظ سكناته وحركاته حتى قبل أن يخرج إلى الوجود، تتعرف انفعالاته من ملامح وجهه، وتلحظ نشاطه ومرضه من نبرات صوته، وتتحسس رغباته من النظر إلى عينيه فإن طرأ طارئ عليه غيّر من عادته، كانت أول من يلحظ ذلك، فإن قلّ طعامه أو ساعات نومه علمت أن هناك ما يشغله أو يؤلمه.

فإن كانت الأم هي أول من يقف على مثل هذه الأمور، كانت الأسرع والأقرب إلى التوجيه والتصويب والنصيحة، ويعزّ على الأب الملاحظة الدقيقة لقلة الملازمة مقارنة مع الأم، إضافة إلى أن شغل الأم الشاغل هو الأسرة وما يحيط بها بينما تكثر مشاغل الأب الأخرى الصارفة له عن ملاحظة كل صغيرة وكبيرة في بيته لذا نرى الرسول ﷺ قد أفرد الأم في حديثه عن وجوب حفظ ما استرعاه الله تعالى إياها حين قال: "... والمرأة راعيةٌ على بيت زوجها وهي مسؤولة، ... ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول"[٢].

وفي إفرادها دلالة على حجم المسؤولية الملقاة على عاتقها، وتأكيدٌ على أهميتها.

---

[١] ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ٤٧٥/٥ .

[٢] البخاري، صحيح البخاري بشرح فتح الباري، ٣١٧/١٠، كتاب النكاح باب (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً).

المبحث الثالث

إعداد الأم واختيارها

١- تربية البنت وتثقيفها لتكون أماً ناجحة

تقرر لدينا فيما سبق أهمية دور الأم من حيث كونها صاحبة الأثر والدور الأبلغ في الأسرة وفي مرحلة الطفولة التي هي من أهم ما يؤثر في صياغة الشخصية، فإن كان الأمر كذلك كان لا بد من إعداد وتربية خاصة للفتاة بحيث تقوم بذلك الدور والواجب حق قيام.

وقد وجهت النصوص وبينت صفات الزوجة الصالحة، وهو ما سنقف عليه لاحقاً ولكن هل مثل تلك الزوجة بالصفات المطلوبة تنبت في المجتمع من غير إعداد وعناية؟ أيمكن أن تكون نبتاً يخرج من تلقاء نفسه في مجتمع جاهل متخلف محروم من الثقافة الواسعة وبعيد عن القيم الدينية والاجتماعية الخيرة؟

لقد استهدف الاعداء تجهيل المرأة لأنه أدرك أن وعيها يعني بالنتيجة وعي الأمة، فإذا تنبهنا لذلك وأردنا الاستدراك فخطوة البدء نحو بناء الأمة هي المرأة، وهي خطوة لا يتجاوزها إلا جاهل، ولسنا نعني بتعليم المرأة التعليم المنتشر بأشكاله وصوره، فهو تعليم عقيم إذ لم تكن هناك قاعدة سليمة وتصورٌ سليم يرفده، ومرجعية ثابتة وواضحة له وهو ما نريده من التعليم، تعليمٌ يجمع بين الثقافة والتوعية والتربية.

إذاً علينا أن نبدأ بتعليم المرأة، ذلك أن ما نأمله لأجيالنا من علم وخلق ودين لا بد أن يتوفر في الأم المنجبة والأم المربية أولاً، ذلك أن فاقد الشيء لا يعطيه[1].

وتبدأ مرحلة إعداد الفتاة وتعليمها مبكراً قبل الزواج لما تتصف به المرأة في هذه المرحلة من التنبه والتيقظ، ولما عندها من الطاقة والحيوية والرغبة في التعلم، وأول ما نبدأ فيه في تعليم المرأة، ترسيخ مفهوم العقيدة الأمر الذي سيبنى عليه فيما بعد التصور الصحيح لكل أمر، ثم نتدرج في تعليمها بحسب الأولويات.

---

[1] قطب، محمد علي، فضل تربية البنات في الاسلام، ص٥٢ .

٢- **اختيار الأم:**

وقد يسأل بعضهم لماذا لم أقل اختيار الزوجة فهي خطوة سابقة للأمومة؟

وإنما أردت بذلك الإشارة إلى ضرورة الاتصاف ببعد النظر عند اختيار الزوجة، فلا يتسرع الشاب لخطبة فتاة لأن فيها من الصفات ما يرضيه هو دون أن يراعي أنه إنما يختار أماً لأبنائه وهي مسألة أكثر أهمية من مجرد إرضاء رغباته وهواه. وحسن الاختيار أمرٌ نلحظه في أحاديث الرسول ﷺ التي جمعت بين الصفات التي تؤهل المرأة لتكون زوجة قريبة من زوجها وأماً راعية لأبنائها. فإذا كان اختيار الزوجة بهذه الأهمية ما كان لا بد من تحديد عناصر الاختيار، وذلك من خلال وقوفنا في ظلال النصوص المتعددة في هذا الشأن، والتي تؤكد بمجموعها على ضرورة اختيار المرأة من بيت يمتاز بالتقوى والصلاح ومعروف بالصفات الوراثية الحسنة والمستحبة، وهذا ما يؤكد ضرورة ما أشرنا إليه سابقا من حسن التربية والإعداد للفتاة قبل الزواج لتكون الأم الناجحة في عملية إعداد الأبناء الصالحين، يقول تعالى: ***{ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم}***[١].

وفي هذا الشأن يقول ﷺ {تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم"[٢].وبين لنا الرسول ﷺ الأساس الأولى الذي ينبغي اعتماده في اختيار الزوجة وهو الدين في قوله: "تنكح النساء لأربع، لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"[٣].

إذا فالجوانب التي ينبغي مراعاتها هي أن تكون المرأة معروفة بالدين والخلق والصلاح، ومن بيئة معروفة بذلك، ويقول الشاعر في هذا الشأن:

وليس النبت ينبت في جنان   كمثل النبت ينبت في الفلاة[٤]

ونقف مع واحد من أولئك الذين أدركوا بعد هذه المسألة وهو أبو الأسود الدؤلي[٥] حين قال، لأبنائه: (يا بني قد أحسنت إليكم صغارا وكبارا وقبل أن تولدوا، فقالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: أخترت لكم أما لا تسبون بها) فصدق فيه قول الشاعر:

---

[١] سورة البقرة، الاية: ٢٢١ .

[٢] الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ٣٣٣/١ برقم ١٩٦٨ كتاب النكاح، باب الأكفاء.

[٣] أبو داود، السنن، ٨٥/٢، برقم ٢٥٤٧ كتاب النكاح، باب ما يؤخر من تزويج ذات الدين.

[٤] علوان، عبدالله، تربية الأولاد في الاسلام، ١٣٤/١ .

[٥] أبو الأسود الدؤلي: اسمه ظالم بن عمرو ولد في ايام النبوة وكان أول من تكلم في النحو، توفي سنة ٦٩هـ، انظر الذهبي السير ج٤ ص٨١ وابن حجر تهذيب التهذيب ج٨ ص١٤٩.

فأول إحساني إليكم تخيري   لماجدة الأعراق بادٍ عفافها[1]

فانظر كيف أن مهمة تربية النشئ مهمة عظيمة تحتاج إلى تظافر الجهود من قبل الجميع، فهي لا تبدأ مع ولادة الطفل بل هي سابقة لذلك بدأً من إعداد الفتيات ومروراً بحسن اختيار الزوجة من بين تلك الشريحة الواسعة من النساء صاحبات الميول والاتجاهات المتباينة.

ولما سُئل عمر بن الخطاب: (ما حق الولد على أبيه؟ أجاب بقوله: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن)[2] والانتقاء لفظٌ دال على الدقة والصبر عند الإقدام على الزواج.

كما وينبغي أن تراعى الصفات الوراثية وهي متعددة، فمنها العقلية: كالفطنة، والذكاء وعلو الهمة، مما للوارثة فيه دور يدفع صاحبها إلى طلب المزيد من الملكات المكتسبة التي تعزز تلك الصفات لديه.

ومنها المعنوية كالخلق، فإذا ما عُرفت المرأة بدماثة الخلق أُرتجي أن تنقل هذه الصفات لأبنائها، كصفة الحلم، والصبر وغيرها.

هذا إضافة إلى الصفات البدنية المرغوبة كقوة البنية، وسلامة الجسد من العيوب والأمراض والى بعض هذا الجانب أشار الرسول ﷺ بقوله :"تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثرٌ بكم الأمم"[3].

والصفات تؤخذ بمجموعها وأغلبها من الأبوين كما هو ثابت علمياً مما لا مجال للشك فيه، وهذا سبب استنكار القوم على مريم عندما جاءت بوليدها من غير أب، فقيل لها كما أخبر الله عز وجل ***{يا أخت هارون ما كان أبوك إمرأ سوءٍ وماكانت أمك بغياً}***[4].

فعنصر الوراثة معلوم لدى الأقوام السابقين ولهذا أشار القوم إلى الأخ والأب والأم على اعتبار أن أثر هؤلاء يُلحظ في الذرية وإن نزلت[5].

---

(1) أحمد عم هاشم، مسؤولية الأم في تنشئة الأبناء، الفيصل، العدد (١٩٥)، ص٩٥ .

(2) الغزالي، محمد، قضايا المرأة، ١٠٥ .

(3) سنن أبو داود، ٨٦/٢، كتاب النكاح ، باب من تزوج الولود، برقم ٢٠٥٠ .

(4) سورة مريم، الآية: ٢٨ .

(5) الغزالي، محمد ، قضايا المرأة، ص١٣١ .

وكثيراً ما يُشير المترجمون إلى صفات المترجم لهم بتعبير أرضع لبان التقوى والصلاح أو رضع لبان الشجاعة أو ما شابه مما فيه دلالة لطيفة على أثر الأم والرضاعة في نقل الصفات الوراثية.

ولهذا الأمر يشير الشاعر بقوله:

وهل يُرجى لأطفال كمال إذا ارتضعوا ثُديّ الناقصات[1]

وهذا ما كان يدفع العرب حين اختيار المراضع لأبنائهم إلى النظر في صفات المرضعة وقومها.

ونختم الحديث بدعاء عباد الرحمن حين يُقبلون على تأسيس بيوتهم ***{ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً}***[2].

---

[1] علوان ، عبدالله ناصح، تربية الأولاد في الاسلام، ص١٣٤ .

[2] سورة الفرقان، الآية: ٧٤ .

المبحث الرابع
واجبات الأم نحو أبنائها

وحديثنا حول ما يقع ضمن دائرة مسؤولية الأم، وهي على الأغلب مسؤولية مشتركة بين الأبوين، إلا أنه وفي المراحل العمرية الأولى يكون للأم دورٌ أكثر خصوصية وذلك من حيث طول الملازمة، مما يجعلها أقدر الناس على معرفة ميوله واتجاهاته، وهذا ما يمكنها أكثر من غيرها على معرفة واتباع أنجع الأساليب التربوية التي يستجيب لها إبنها.

إن التربية عملية مجهدة، تستنزف الكثير من الوقت والجهد وتحتاج للكثير من الصبر، والسبب الوحيد الذي يجعل الأم قادرة على تحمل ذلك العبء دون أدنى تبرم أو تواكل، هو تلك العاطفة الجياشة التي أودعها تعالى في صدرها تجاه وليدها بمجرد أن يكون نطفة في رحمها، وتنمو هذه العاطفة مع كل حركة تصدر عنه.

فأكثر ما تؤديه المرأة من واجبات هو بدافع تلك الفطرة السوية التي فطرها الله تعالى عليها، فتؤدي واجبها بسعادة ورضى يزداد كلما رأت أثراً من آثار جهدها يظهر على وليدها، وكأنها مع كل ذلك تأخذ حقاً لا تعطي واجباً.

١- الاستعداد النفسي:

إذا ما تقرر لدينا عظم المسؤولية وما تتطلبه من جهد، كان لا بد من استعداد مسبق للتحمل والأداء، وتمعن في قوله تعالى للسيدة مريم حين أمرها الله تعالى أن تهز بجذع الشجرة . ***{وهزّي إليكِ بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً}***[1]. لقد أمرها بذلك وهي في أشد حالات الضعف وفي أشد الحاجة إلى العناية، في حالة المخاض!! فلماذا لم يأتها رزقها من السماء دون جهد كما كان حالها من قبل؟! .

{... وكفّلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً، قال يا مريم أنّى لكِ هذا قالت هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب}[2].

إذاً لماذا يطلب منها بذل ذلك الجهد وهي على تلك الحال؟

---

[1] سورة مريم، الآية: ٢٥٠ .

[2] سورة عمران، الآية: ٣٧ .

(إنه دور الأم الذي هو أعظم الأدوار في هذه الحياة ... إنه الجهد المبذول في رعاية الأبناء والحنو عليهم ... إنه تزويد الدنيا بالرجال الذين يحملون الأمانة في عمارة الأرض)[1].

ومعلوم أنها وهي في حالتها تلك أضعف من أن تسبب تساقط الثمر بمجرد هز النخلة، لكنه الإعداد والتهيئة النفسية، إشعاراً بعظمة الأمانة والمسؤولية وإشعاراً بضرورة الحركة الدؤوبة لتحقيق الرعاية اللازمة للوليد ومنذ اللحظة الأولى.

ولعل تلك الحكمة هي ذاتها التي من أجلها جعل الله تعالى فترة المخاض فترة صعبة ومؤلمة ومن أشد ما تقاسيه المرأة.

٢- ما هي مسؤولية الأم وما هي واجباتها؟

أولاً: الرعاية

ونبدأ بالرضاعة لأهميتها، فهي غذاء روحي وبدني ونفسي لا تحل مكانه ولا تعوضه الرضاعة الصناعية.

ففضلاً عن الفوائد الصحية التي يجنيها الطفل من الرضاعة، من قوة البنية وسلامتها، والمناعة، فهي عامل أساسيّ في استقرار نفسية الطفل وهي سببٌ في تنمية المشاعر بين الأم وطفلها.

ونقف هنا مع قوله تعالى ***{وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم، ولا تخافي ولا تحزني}***[2]. لنتساءل عن تلك العلاقة ما بين الرضاعة والخوف؟

إن مشاعر الحرص والشفقة والرحمة تنبع من صدر الأم كلما درّ لبنها في فم وليدها، وهكذا تتوثق العلاقة وتزداد قوةً وعمقاً كلما احتضنت الأم رضيعها ووضعته على صدرها ليزداد التصاقاً بها، فكأنه جزءٌ منها، بل أغلى من أي جزء فيها، وكأن تلك الرضعة ستكون سبباً في الصلة الروحية والرابطة الوثيقة فلن تضيع الأم طفلها حتى وإن ألقت به في اليم.

---

[1] ياسين، رشدي، نساء مؤمنات، ص١٩.

[2] سورة القصص، الآية: ٧.

ورعاية الأم لأبنائها متعددة الجوانب ، وأهمها:

١- الرعاية الصحية:

ومن أشكال الرعاية، الرعاية الصحية، أو التربية الجسمية، والمراد بالتربية الجسمية تنمية وتنشيط جسم الإنسان، بحيث يكون قادراً على مواجهة أعباء الحياة المادية والمعنوية، والاستفادة من هذا الجسم في أوجه الحياة المختلفة.

إذاً فالرعاية سابقة للرضاعة ولاحقة لها، سابقة من حيث أنه يجب على الحامل الاعتناء بنفسها من أجل صحة الجنين بالحرص على تناول الغذاء النافع والابتعاد عن كل ما يؤذيه، ولاحقة من حيث الاعتناء بصحة الطفل ونظافة جسمه وملابسه، والحيلولة دون تعرضه لما يؤذيه من إصابات كالاحتراق أو السقوط، وذلك بالأخذ بالأسباب ودون أدنى تواكل فإن وقع ما يُكره أُخذ بأسباب العلاج.

هذا إلى جانب توفير التغذية المناسبة للطفل، وتعويده العادات الصحية السليمة في الطعام والشراب والنوم، وتوجيهه لممارسة الرياضات النافعة لسلامة نموه[١].

وتلك الرعاية جانبٌ مهم من مسؤولية الأم، فهي من باب إعداد القوة المأمور بها في قوله تعالى: ***{وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة}***[٢].

ونجد في سنة الهادي ﷺ توجيهات عديدة في هذا الصدد منها "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت"[٣].

"ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطن"[٤].

"... يا عباد الله تدووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء ..."[٥].

---

[١] الشيباني، عمر، من أسس التربية الاسلامية، ص٥١٤ .

[٢] سورة الأنفال، الآية : ٦٠ .

[٣] أبو داود، السنن، ٩٦/١، كتاب الزكاة برقم ١٦٩٢ .

[٤] الترمذي، الجامع الصحيح، ٥٩١/٤، كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل برقم ٢٣٨٥.

[٥] المرجع السابق، ٣٨٣/٤، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء، برقم ٢٠٤٣ .

ب- الرعاية النفسية والوجدانية:

ويراد بالتربية النفسية (تحقيق النمو الانفعالي السليم وتحقيق النضج الانفعالي والعاطفي المناسب لهم، وتحقيق التكيف النفسي السليم مع أنفسهم ومع من يعيشون ويتفاعلون معهم، وتنمية العواطف الإنسانية النبيلة لديهم ... وعلى مواجهة مشاكلهم النفسية بإيجابية وفاعلية)[1].

إذاً فهي الرعاية التي تحقق للفرد الأمن والاستقرار النفسي وتخلصه من أسباب القلق والاضطراب ليكون فرداً ايجابياً فاعلاً ومؤثراً في مجتمعه قادراً على مواجهة المشكلات التي تواجهه ومعالجتها باتزان وروية.

وفي سبيل تحقيق هذا الواجب تسلك الأم طرقاً مختلفة، ومن ذلك إمدادها لأبنائها بالعاطفة الخالصة وحنوها عليهم، وإظهار اهتمامها بهم وبحاجاتهم، وذلك مما يغرس بهم الثقة بأنفسهم ويخلصهم من الاضطرابات والعقد النفسية، فيخلصهم من القلق والاضطراب والعزلة، ويشبع حاجاتهم النفسية كحاجاتهم للإحساس بالأمان.

وقد ضُربت لنا من تاريخنا الزاهر، أمثلة رائعة يتبين من خلالها أن عاطفة الأم لا تشبهها ولا تدانيها أي عاطفة أخرى، ومن ذلك ما رواه الأصمعي من إنه كانت إحدى النساء الأعرابيات تحمل وليدها الصغير كل يوم مع الفجر، لتقف به فوق تلة عالية، ثم تناجيه بعاطفتها الصادقة (أي بني وريحانة فؤادي، خذ صفو هذا النسيم قبل أن تكدره الخلائق بأنفاسها ...)[2].

ومن حسن الرعاية النفسية لهم تقديرهم، وعدم إهمال ما يصدر عنهم من قول أو فعل، وتجنب السخرية بهم، كما وينبغي إتاحة الفرصة لهم للتعبير عن آرائهم.

ومن الأمور التي يجدر التنبه إليها في هذا المجال، العدل بين الأبناء حتى لا تكون الأم سبباً في زرع العقد النفسية لديهم، وسبباً في إفساد علاقة الأخوة والمودة بين أبنائها.

ومن جوانب التربية النفسية، تجنب الإفراط في التدليل، والإفراط في العقوبة والقسوة فيها، إذ أنها تجعل من الناشئ شخصية كثيرة الخوف عاجزة عن مواجهة الصعوبات، وكذا عليها تجنب رواية القصص الخيالية والمرعبة[3]، التي قد ترعبهم وتهز

---

[1] الشيباني، عمر، من أسس التربية الإسلامية، ص٥١٨ .

[2] الغزالي حرب، الأمومة في الأدب العربي، نقلاً عن مجلة الوعي الاسلامي، العدد ٢٣١، ربيع الأول ١٤٠٤هـ، ص٩٧.

[3] مجلة الأمن والحياة، العدد ١١٦، السنة العاشرة، رجب، ١٤١٢هـ. . - عادل أسعد، ص٥٠ .

شخصياتهم في مرحلة التأثر السريع، مرحلة الطفولة التي ينبغي حمايتهم فيها من كل ما يزعج ويخيف .

ج- الرعاية العقلية:

وهي على جانب كبير من الأهمية، وذات أثر بالغ في صياغة الشخصية وهذا الجانب من الرعاية لا يلقي الاهتمام الكافي من قبل الأمهات، وتزداد هذه العناية كلما ازدادت ثقافة الأم وازداد وعيها.

أما ماذا يقصد بالتربية العقلية فهي تربية تهتم بالعقل وتجعله قادرا على التفكير الحر الذي يصل فيه صاحبه الى الحقيقة المجردة. باستعمال وسائل تقوية هذا العقل كالنظر والتفكير والتدبر والتأمل والاستنتاج والتحليل.

ودور الأم في تنمية هذا الجانب ورعايته يظهر في تهيأتها للبيئة الأسرية الغنية بالمثيرات العقلية التي تدفع طفلها إلى التحليل والاستنتاج مع دوام المراقبة لما يقوم به، ولا يقتصر الأمر على مجرد البيئة الأسرية بل تنبه إلى الآيات الكونية والترابط بين الموجودات، مع قيامها بشكل مستمر بتصويب منهج الفكر لدى أبنائها مساعدتها على الوصول إلى النتائج الصائبة التي تنسجم مع المرجعية التربوية لهم.

ومن أساليب هذه الرعاية، الاستفادة والتوجيه لتلك الخصائص الفطرية التي يمتاز بها الأطفال، من دقة الملاحظة، وشدة الحفظ، وكثرة الفضول من حيث الرغبة في معرفة وتعلم كل شيء.

ومثال ذلك توجيه ذاكرة الطفل إلى حفظ ما يعود عليه بالنفع في مستقبله وما يشكل القاعدة لانطلاقه، كحفظ كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ . وعلى الأم أن تحذر من إهمال تلك الخصائص كإهمال الإجابة على الأسئلة المطروحة، أو محاولة صرفه إلى اللعب المجرد.

ومعلوم تعلق الأطفال باللعب، وتقع على الأم مسؤولية مساعدة الطفل في اختيار ألعابه، بانتقاء الألعاب التي تنمي مواهبه، وتحث عقله على التفكير والتخطيط، وتنمي القدرات الحسابية لديه، والبعد عن تلك الألعاب التي تعطل التفكير، وتسبب الميوعة في الشخصية.

وكل ما يتعلمه الطفل في هذا المجال سنجد أثره واضحاً عند نضـوج شخصيته، فيخرج لدينا فرداً متزناً موضوعياً سليم التفكير، قادراً على حل المشكلات وربط الأسباب بالمسببات، وتخلصه من التبعية العمياء وذوبان الشخصية التي حذر منها النبي ﷺ بقولـه: "لا تكونوا إمعة ..."[1].

د- الرعاية الدينية:

وهي التي ينبغي أن تصطبغ بها جميع الجوانب التي ذكـرت سـابقاً، فـدور الأم المسلمة في التربية الإسلامية لا بد أن تكون مرجعيته دينية في كل ما تنوي الأم القيام بـه تجاه أبنائها، موقنة أن ما تقوم به هو واجبها الذي ألزمها به دينها أولاً وقبل كـل شـيء حتى تقوم به برضا واندفاع.

وهذه الرعاية تأتي تابعة للتعليم الديني وملازمة له، وتكون الرعاية الدينية بتعويـد الأبناء على أداء التكاليف الشرعية، مع بيان طرق تأديتها، وبربط الأعمال والأقوال دائماً بالله عز وجل، وتصويب النية، والتذكير الدائم بالغاية من هذه الحياة، وأن مفهوم العبادة لا يقتصر على المفهوم الخاص[2].

أما الوسيلة إلى كل ذلك فأعظم ما تكون في ضرب المثل الطيب، والقدوة الصالحة لهم، كتأدية الفرائض الدينية بصورتها الكاملة وفي أوقاتها المحددة أمام الأبناء، وتوفـير الجو الروحي الديني في البيت الذي يعيشون فيه.

ثانياً: التعليم:

والمراد بالتعليم هنا التعليم الشامل المتضمن لأشكال الرعاية التي مرت معنا ومـن ذلك:

تزويد الأبناء بالمعارف الدينية والثقافة الإسلامية اللازمة، وبالتركيز على فروض العين ثم الانتقال إلى فروض الكفاية، فنبدأ بتعليمه الصلاة كفرض من فـروض العين ونركز عليها إذ حضها النبي ﷺ بالذكر في قوله "علموا الصبـي الصـلاة ابـن سـبع، واضربوا عليها ابن عشر ..."[3].

---

[1] الترمذي، السنن، ٣٦٤/٤، كتاب البر، باب ما جاء في الإحسان والعفو برقم ٢٠١١ .

[2] أنظر: الشيباني، عمر، من أسس التربية الاسلامية، ص٥٢١ .

[3] الترمذي، السنن، ج٢ ص٢٥٩، كتاب الصلاة. باب ما جاء في تذمـر الصبـي بـالصلاة ج(٤٠٧) وقـال الترمذي، حديث حسن صحيح.

وقبل مطالبتهم بها ينبغي إحسان تعليمهم إياها وكذا الحال في كل ما نرغب أن يكتسبة الأبناء من سلوك حسن.

وفي قول الرسول ﷺ ذلك دلالة تربوية لطيفة وهي أن الأمر بالضرب إيحاء للآباء بضرورة بذل الجهد والوسع في تعويد الأبناء على أداء هذه العبادة حتى لا يصلوا سن العاشرة فيضطروا حينئذٍ للضرب، وهذا الأمر تكرهه نفوس الآباء، فكأن الأمر بالضرب هنا عقوبة للأبناء وتأنيبٌ للآباء أيضاً.

كما وينبغي تعليم الأبناء الأحكام الشرعية المختلفة، وسيرة الرسول ﷺ وأخبار من تاريخنا الاسلامي، وتوجيههم إلى القراءات الدينية النافعة إذا ما أتقنوا القراءة، وكذلك القراءات العامة المفيدة لتوسيع معارفهم وثقافتهم .

وهكذا ينبغي للأم التدرج فيما تعلمه لأبنائها بحسب الأهمية والضرورة مدركة لمدى قدراتهم وميولهم.

ولا تهمل الأم تعليمهم الآداب الاسلامية، كآداب الطعام والشراب والجلوس والحديث والمشي والاستماع، وتعلمهم كذلك النظام والعناية بالنظافة وتعلم أساليب الوقاية مما قد يتعرض لهُ.

وستجد الأم المسلمة في سنة الرسول ﷺ نصوصاً ثرية وتوجيهات تربوية متعددة بهذا الصدد ومن تلك النصوص:

قوله ﷺ : "إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء ..."[١].

ونهيه ﷺ عن الأكل مضطجعاً[٢].

وإرشاده لكيفية تناول الطعام بقوله: "فسمّ الله، وكُل بيمينك وكُل مما يليك"[٣].

وتعمل الأم على تعليم أبنائها الأخلاق الحسنة والصفات النفسية المرغوبة كالثقة بالنفس وضبطها عند الغضب، والواقعية والاعتماد على الذات فيما يمكن له أداؤه بنفسه[٤].

يقول ﷺ "ما نحل والدٌ ولداً أفضل من أدب حسن"[٥].

---

[١] الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ٢٥٠/٢، كتاب الأشربة، باب التنفس في الإناء، برقم ٣٤٢٧ .

[٢] أبو داود، السنن، ٥٥٤/٢، كتاب الأطعمة برقم ٣٧٦٩ .

[٣] المرجع السابق، ٥٥٦/٢، كتاب الأطعمة ، برقم ٣٧٧٧ .

[٤] أنظر: الشيباني، عمر، من أسس التربية الاسلامية، ص٥١٩ .

[٥] الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٥٩/٨ .

وترشدهم إلى فضائل الأعمال التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة من صلة الرحم، والإحسان إلى الجار، وإكرام الضيف، وحسن اختيار الجليس أو الصاحب، وذلك بيان صفات الجليس الصالح[1].

وقد رأينا كيف أن الرعاية والتعليم ينصبان -على الأغلب- على المراحل الأولى حتى سن التمييز أو البلوغ، إلا أنه لن يتوقف دور الأم عند هذا الحد، فهي تحتاج إلى المحافظة على ذلك البناء وعلى ذلك الجهد الذي بذلته، وذلك من خلال ثالث واجباتها وهو:

ثالثاً: المراقبة والتوجيه

إذ تستمر الأم في سبيل تحقيق أهداف التربية بمراقبة مدى التزام الأبناء بما زرعته فيهم، فإن شعرت بوجود خلل أو حدوث تقصير سارعت إلى التصويب وإعادة التوجيه.

ودور الأم هنا بالغ الأهمية، إذ أنه من المعلوم أنه قد يكبُرُ على المرء كلما تقدمت به السن والمكانة أن يستمع إلى توجيه من أحد، إلا من أمه فهو إن بلغ ما بلغ يستحي أن يُسفه كلامها أو يرده، بل يبقى يشعر بالذنب أمامها إن وقفت تؤنبه على سوء رأيٍ أو خطأ في تصرف، وقد حصل الكثير من ذلك، من أمهات موفقات منعن أولادهن من الوقوع في الخطأ أو الاستمرار فيه، فكن بذلك سبباً في فلاحهم واستقامة سلوكهم.

وهذا ما يستدعي قرب الأم القرب المادي والمعنوي من الأبناء، فإن تعذر القرب المادي وأعني به المكاني – فعليها بإدامة السؤال عنه والاستفسار عن أحواله منه من المقربين إليه للمسارعة لعلاج أي خلل قد يصدر.

---

(1) أنظر: أحمد عمر هاشم، مسؤولية الأم في تنشئة الأبناء، الفيصل، العدد ١٩٥، ص٩٥ .

الفصل الثاني

نماذج من إعداد الأمهات للعلماء

الفصل الثاني

نماذج من إعداد الأمهات للعلماء

يتضح دور الأم المسلمة في إعداد العلماء من خلال بعض النماذج الذين كان لأمهاتهم دور بارز في اعدادهم.

لذا فإني سأعرض في هذا الفصل بعض النماذج لكي تتضح صورة الأم في إعدادها لابنها عالماً نافعاً، لذا فقد جعلت هذا الفصل يشتمل على مبحثين :

الأول: ويتضمن دراسة حياة عدد من الأعلام المتقدمين وبيان دور أمهاتهم في تربيتهم وإعدادهم الإعداد الذي وصلوا به إلى ما وصلوا من العلم والفضل والشهرة وسنرتبهم على وفياتهم.

الثاني: ويتضمن دراسة عدد من المتأخرين المعاصرين الذين كان لأمهاتهم دورٌ بارز في تربيتهم حتى وصلوا إلى مكانة علمية كانت سبباً في شهرتهم .

ولقلة المرويات عن الأمهات سيلحظ القارئ أني مضيت ألتمس ملامح الأمهات وبعض تفاصيل أدوارهن في صورة أبنائهن، مستعين على فهم شخصية الأم من خلال شخصية الابن بما تركت فيه من أثر واضح وما نقلت إليه من دماء قومها .

المبحث الأول
نماذج من الأعلام المتقدمين

ويقصد بالمتقدمين من العلماء من عاشوا قبل نهاية القرن الثامن الهجري، وسأذكر منهم من استطعت الوقوف على دور أمه في تربيته، وأرتبهم حسب سني وفاتهم وهم:

١- الإمام ربيعة الرأي – رحمه الله – :

أولاً: حياته:

١. اسمه ونسبه: ربيعة بن أبي عبدالرحمن، فروخ، مولى آل المنكدر التيمي ويقال: أبو عبدالرحمن القرشي التيمي مولاهم.[١]

٢. وفاته: كانت وفاته سنة ست وثلاثين ومئة في المدينة، وقيل في الأنبار[٢].

ثانياً: مكانته العلمية: تبوأ مكانة علمية مرموقة، خاصة لما امتاز به من العلم والحفظ والفضل والعقل، ولإدراكه لبعض الصحابة وكبار التابعين، الذين روى عنهم وأخذ الكثير منهم[٣].

١- شيوخه، وله عدة شيوخ: سمع أنس بن مالك، والسائب بن يزيد، ومحمد بن يحيى بن حبان وسعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وابن أبي ليلى ، والأعرج، ومكحول، وحنظلة بن قيس الزرقي، وعبدالله بن يزيد، والحارث بن بلال بن الحارث، وعطاء بن يسار وعامة التابعين من أهل المدينة(٤).

٢- تلامذته: أخذ عنه مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، والليث بن سعد، وسليمان بن بلال، وحماد بن سلمة، والليث، وفليح والدراوردي، وأبو ضمرة وغيرهم، وكان يجلس إليه وجوه الناس في المدينة، وكان يحصى في مجلسه أربعون معتماً[٥].

---

[١] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨ ص٤٢٠، الذهبي، السير، ج٦ ص٨٩ .

[٢] ابن العماد، شذرات الذهب، ج٢ ص١٥٩، الذهبي، السير، ج٦ ص٩٦ .

[٣] الذهبي، السير، ج٦ ص٩٧-٩٨.

[٤] ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١ ص٥٩٨ .

[٥] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨ ص٤٢١، وابن حجر ، تهذيب التهذيب، ج١ ص٥٩٨ .

٣. ثناء العلماء عليه:

-عن يحيى بن سعيد ، قال: "ما رأيتُ أحداً أفطن من ربيعة بن أبي عبدالرحمن"[١].

وفيه قال عبيدالله بن عمر "هو صاحب معضلاتنا، وعالمنا، وأفضلنا"[٢]. ويوم مات قال مالك: "ذهبت حلاوة الفقه"[٣].

عُرف رحمه الله بالجود والكرم فكان ينفق على أصدقائه وكل باغٍ يبتغي منه عوناً[٤].

قال يعقوب بن شيبة: ثقة ثبت أحد مفتي المدينة[٥]

وقال عبدالعزيز ابن أبي سلمة: يا أهل العراق تقولون ربيعة الرأي والله ما رأيتُ أحداً أحفظ لسنة منه[٦].

قال الزهري: ما ظننتُ أن بالمدينة مثل ربيعة الرأي[٧].

قال مالك: لما مات القاسم وسالم أفضى الأمر إلى ربيعة[٨].

قال الذهبي: كان إماماً حافظاً فقيهاً مجتهداً بصيراً بالرأي ولذلك يقال له ربيعة الرأي[٩]. وفضائله وأخباره كثيرة ذكرها صاحب الحلية[١٠].

---

[١] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨ ص٤٢٣ .

[٢] المرجع السابق .

[٣] الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١ ص١٥٨، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٢ ص١٥٩ .

[٤] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨ ص٤٢٤، والذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١ ص١٥٨ .

[٥] ابن حجر، تهذيب التهذيب ، ج١ ص٥٩٩ .

[٦] المرجع نفسه.

[٧] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٤ ص٩٤ .

[٨] المرجع السابق.

[٩] الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١ ص١٥٧ .

[١٠] أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٣ ص٢٥٩ .

دور والدة ربيعة في إعداده:

لم يكن ربيعة يتيم الأب إلا أنه نشأ كأنه كذلك، إذ انفردت أمه في الإشراف على تربيته وتنشئته حتى صار إلى ما صار إليه من مراتب العلم.

لقد خرج والده إلى بلاد خراسان غازياً ولم تسمع عنه زوجته شيئاً طوال سبعة وعشرين عاماً، وكان ربيعة وقتئذٍ في بطن أمه ولم يرَ النور بعد[1].

وكان في ذلك المولود العوض لأمه عن أبيه الذي لا يُعرف مصيره، فعكفت على تربيته تربية علمية، مُعدّة إياه ليتبوأ مكانه بين علماء عصره، ولم يُخيب ربيعة ظنها إذ كان على درجة من الذكاء والفطنة قلّ نظيرها، استعدادات إذا ما وجدت من يرعاها ويوجهها استحالت إلى قدرات فذة، وهنا كان دور الأم، حسن الرعاية والتوجيه .

وأول ما ابتدأت به أن وجهته إلى حفظ القرآن الكريم على يد أحد الحفاظ في مسجد الرسول ﷺ، فحفظه في سن مبكرة[2]. ثم توجه إلى حلقات العلم المختلفة ينهل منها حلقة بعد أخرى والأم لا تألوا جهداً مادياً أو معنوياً إلا وتسانده به، حتى أنها أنفقت على تعليمه كل ما خلفه والده فروخ، معدةً هذا الأمر أعظم استثمار يمكن أن تستثمر فيه المال، وأعظم أمرٍ يدخل السعادة إلى قلب أبيه إن عاد يوماً، فإن لم يُعد كان ربيعة العالم هو أعظم عوض لها.

ولقد عاد الوالد، ولكن بعد سبعة وعشرين عاماً، وسُرّ بولده حين رآه، وبعدَ أيام قرر استئناف حياة العمل من جديد فطلب من زوجته ما تبقى من المال الذي خلفه عندها، فقالت: قد دفنته في مكان وأخرجه بعد أيام، "فخرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقته، وأتاه مالك بن أنس، والحسن بن زيد، وأشراف أهل المدينة، وأحدق الناس به، فقالت امرأته اخرج صلِّ في مسجد الرسولﷺ، فخرج فصلى، فنظر في حلقة وافرة فأتاه فوقف عليه، ففرجوا له قليلاً، ونكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره، وعليه طويلة، فشك فيه أبو عبدالرحمن، فقال: من هذا الرجل؟ فقالوا له هذا ربيعة بن أبي عبدالرحمن، فقال: لقد رفع ابني. فرجع إلى منزله فقال لوالدته لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم

---

[1] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨ ص٤٢٢ .

[2] عبدالمنعم قنديل، حياة الصالحين، ص٢٩٣ .

والفقه عليها، فقالت: أيما أحب إليك ثلاثون ألف دينار، أو هذا الذي هو فيه من الجاه؟ قال: لا والله إلا هذا، قالت فإني أنفقت المال كله عليه، قال: فوالله ما ضيعته)[1].

لقد كانت عاقلة، لم تغتر – كما تفعل أكثر النساء- بوفرة المال بين يديها، بطول غياب الزوج، فلم تنفق المال على مظاهر الزينة والترف، مقتصرة في تربية ولدها على ما هو متعارف عليه من الرعاية التقليدية، بل نبذت كل ذلك، وأبت لولدها إلا النبوغ والعظمة، مدركة تكاليف العظمة الباهظة، سواءً أكانت تكاليف معنوية تستنفذ منها كل طاقتها وسني عمرها، أو تكاليف مادية تستنفذ كل ما خلفه زوجها من مال، فجعلت منه إماماً ولم يبلغ السابعة والعشرين بعد يحيط به كبار علماء المدينة!!

لم تُضع الأمانة، حفظتها وأدتها على أكمل صورة، مواقف تتطلب الجرأة والحزم في اتخاذ القرارات وتحمل مسؤولية اتخاذها، وقلما نجد في نسائنا من هي على تلك الحال.

---

[1] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨ ص٤٢٢، الذهبي، السير، ج٦ ص٩٣، ٩٤، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤ ص٩٤ .

٢- الإمام الأوزاعي، رحمه الله:

أولاً: حياته:

اسمه ونسبه:

عبدالرحمن بن عمرو بن يُحمد، أبو عمرو الأوزاعي والأوزاع بطن من همدان، وهو من أنفسهم[١]، وذكر أبو زرعة الدمشقي أن أصله من سبي السند، نزل في الأوزاع فغلب عليه ذلك[٢].

مولده ونشأته:

ولد سنة ثمان وثمانين في بيروت وكان مولده في حياة الصحابة، ونشأ يتيماً فقيراً في حجر أمه تنتقل به من بلد إلى آخر[٣].

وفاته:

مات في بيروت سنة سبع وخمسين ومائة في آخر خلافة أبي جعفر وهو ابن سبعين سنة .[٤]

ثانياً: مكانته العلمية:

١- شيوخه:

روى عن عطاء بن أبي رباح، وقتادة، ونافع مولى ابن عمر، والزهري ومحمد بن سيرين، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ويحيى بن أبي كثير، وحسان بن عطية وخلق من أقرانه وغيرهم.[٥]

٢- تلامذته:

روى عنه مالك وابن المبارك وابن أبي زياد، وعبدالرزاق، وبقية، وبشر بن بكر، والقطان، وأبو حمزة المدني، وأبو إسحاق الفزاري، والوليد بن مسلم، وأبو عاصم النبيل، والفريابي، وخلق غيرهم[٦].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧ ص٤٨٨ .

(٢) الذهبي، السير، ج٧ ص١٠٩. قال الحاكم، أبو أحمد في الكنى ، الأوزاعي من حمير وقد قيل أن الأوزاع قرية بدمشق وقيل إنما قيل الأوزاعي لأنه من أوزاع القبائل. انظر ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦ ص٢١٧.

(٣) المرجع السابق، ج٧ ص١٠٩-١١٠ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ج٧ ص٤٨٨ .

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦ ص٢١٦.

(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦ ص٢١٦.

٣- رحلاته ومصنفاته:

تنقل في بلدان كثيرة برفقة والدته إلا ان أغلب إقامته في بيروت، أما مصنفاته فله كتاب في "السنن" وكتاب في "المسائل" وعن عبدالرزاق: "أول من صنف ابن جريج، وصنف الأوزاعي"[١].

٤- ثناء الأئمة عليه:

أثنى عليه جمعٌ كبير من العلماء ومن أبرز ما قيل فيه:

- قول مالك : "الأوزاعي إمامٌ يقتدى به"[٢].
- وعن الشافعي "ما رأيتُ رجلاً أشبه فقهه بحديثه من الأوزاعي"[٣].
- وعن الهقل بن زياد : (أجاب الأوزاعي عن سبعين ألف مسألة)[٤].

ولما حجّ لقيه سفيان الثوري: "فأخذ بخطام بعيره يقوده وهو يقول: "طرقّوا للشيخ"[٥].

قال أبو زرعة: إليه فتوى الفقه لأهل الشام لفضله فيهم وكثرة روايته، وكان فصيحاً ورسائله تؤثر[٦].

وقال ابن مهدي: الأئمة في الحديث أربعة الأوزاعي ومالك والثوري وحماد بن زيد.

وقال أيضاً: ما كان بالشام أعلم بالسنن منه[٨].

وقال ابن معين: ثقة ما أقل ما روى عن الزهري[١٠].

وقال أبو حاتم: إمام متبع[١١].

وقال ابن عيينة: كان إمام أهل زمانه[١٢].

---

[١] الذهبي السير أعلام النبلاء، ج٧ ص١١١

[٢] الذهبي، السير، ج٧ ص١١١ .

[٣] المرجع السابق، ج٧ ص١١٢، ١١٣ .

[٤] المرجع نفسه.

[٥] ابن العماد، شذرات الذهب، ج٢ ص٢٥٧ .

[٦] المرجع السابق.

[٨] ابن حجر ، تهذيب التهذيب، ج٦ ص٢١٧ .

[١٠] المرجع السابق.

[١١] ابن حجر ، تهذيب التهذيب، ج٦ ص٢١٧ .

[١٢] المرجع السابق.

وقال ابن سعد: وكان ثقة مأموناً صدوقاً فاضلاً خيراً كثير الحديث والعلم والفقه .

وقال ابن حبان: كان من فقهاء أهل الشام وقرائهم وزهادهم[1].

دور والدة الأوزاعي في تربيته وإعداده:

وهنا نقف مع نموذج آخر من أولئك العلماء الذين ترعرعوا في رعاية أمهاتهم، فقد ولد الأوزاعي ونشأ يتيماً في حجر أمه[2]، حيث عكفت على تربيته تربية متكاملة، متفانية في ذلك، إذ تركها زوجها وولدها فقراء، فجاهدت من أجل أن لا يكون الفقر مبرراً للتقصير في تربية ابنها، أو حائلاً دون حصوله على حظه من الأدب والعلم.

تنقلت به من بلد إلى بلد، وتحولت به على كثير من حلقات العلم حتى جمع من العلوم والمعارف ولا سيما الحديث والفقه[3]. ولم تحل مشقة الطريق، أو طول السفر وشدة ما يلاقيه المسافر في ذلك الوقت من العنت دون مصاحبتها له إلى مراكز العلم.

كما روي أنها عملت في المنازل حتى وفرت ما يكفي لتعليمه[4]، قاهرة بذلك عنصر الفقر، وحتى لا تضطره للعمل وهو صغير، فنشأ الأوزاعي بفضل تلك التضحية مثلاً يُحتذى في العلم والأدب، حتى قال فيه الوليد بن مريد: (... كان يتيماً فقيراً في حجر أمه، عجزت الملوك أن تؤدب أنفسها وأولادها أدبه في نفسه)[5]. لم تكن تربية ملوك ولا أمراء بل تربية أمٍ ضعيفة فقيرة الحال، إلا أن التصميم والإرادة وقوة العزيمة مكنتها من القيام بتلك المهمة العظيمة.

ولم تكن الأم تقتصر على مراقبة تقدمه العلمي فحسب، بل وتراقب عباراته لتطمئن على سلامة المنطق، قال إسحاق بن خالد: (... وكان يحيي الليل بكاء وصلاة، واخبرني بعض اخواني من أهل بيروت أن أم الأوزاعي كانت تدخل منزل الأوزاعي وتتفقد موضع مصلاه، فتجده رطباً من دموعه)[6].

---

[1] المرجع نفسه.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠ ص١١٥. الذهبي، تاريخ الاسلام، ص٤٨٥ .

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠ ص١١٥ .

[4] سمير شيخاني، صانعوا التاريخ، ج١ ص١٦٢ .

[5] الذهبي، تاريخ الإسلام ، ص٤٨٥ .

[6] الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٩ ص٤٨٩ .

فهي لم تقتصر على مجرد سؤاله عن عباداته بل باشرت بنفسـها تتفقـد موضـع مصلاه، ويا لها من وسيلة قلما تفطن إليها الأمهات.

إذاً فدور أم الأوزاعي يمكن تلخيصه في اعتكافها على تربيته يتيماً فقيراً ومحاولـة تأمين الضروريات حتى وإن اضطرها ذلك إلى العمل المضنـي، ثـم عمليـة التوجيـه والمراقبة بأساليب مختلفة، فضلاً عن مرافقته في رحلاته العلمية زيادة في الاطمئنان عليه وملازمته للعناية بشؤونه.

حتى وصل إلى ما وصل إليه من العلم والفضل والشهرة اللائقة به. إمام من الأئمة وعلم من الأعلام الذين كانت لهم بصماتهم الواضحة في حفظ السنة النبوية وإثراء العلـوم الشرعية بشكل عام.

٣- الإمام سفيان الثوري – رحمه الله – :

أولاً: حياته:

١- اسمه ونسبه:

سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبدالله ... بن ثور بن عبد مناة بن أُدّ بن طانجة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان . فهو من ثور همدان[٢].

٢- مولده:

ولد سنة سبع وتسعين في خلافة سليمان بن عبدالملك.[٣]

٣- وفاته:

توفي في البصرة في شعبان سنة إحدى وستين ومائة في خلافة المهدي[٤].

ثانياً: مكانته العلمية:

١- شيوخه:

وهم كثر منهم: إبراهيم بن عبد الأعلى، وإسماعيل السُدي والأسود بن قيس، وأيوب السختياني، وحبيب بن أبي ثابت، وزياد بن علاقة، وسلمة بن كهيل، ومحمد بن المنكدر.

ويقال أن عدد شيوخه ست مئة شيخ كبارهم الذين حدثوه عن أبي هريرة وجرير بن عبدالله ، وابن عباس رضي الله عنهم.[٥]

٢- تلامذته:

وممن حدث عنه الأوزاعي وأبو حنيفة، وجعفر الصادق، وسفيان بن عيينة، وعبدالله بن المبارك، وفضيل بن عياض، ومالك ويحيى القطان وغيرهم كثير[٦].

---

[٢] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦ ص٣٧١، الذهبي، السير، ج٧ ص٢٢٩-٢٣٠ .

[٣] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٧١.

[٤] المرجع السابق.

[٥] الذهبي، السير، ج٧ ص٢٣٠-٢٣٤، وانظر ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢ ص٥٧ .

[٦] المرجع السابق، ج٧ ص٢٣٤-٢٣٦ ، وانظر ابن حجر، المرجع السابق.

مصنفاته:

ذكر له الذهبي مصنفاً واحداً هو كتاب "الجامع"[1]، ومع أنه صاحب مذهب إلا أن مذهبه لم ينتشر ولعل سبب ذلك يرجع إلى أنه عاش أغلب حياته مستخفياً مما كان يلاقيه من فتنة السلاطين فلم يتهيأ له تلاميذ ينشرون مذهبه كغيره من العلماء[2]. وله كذلك التفسير الذي يرويه عنه سعيد بن عبدالرحمن المخزومي[3].

ثناء العلماء عليه:

قال شعبة وابن عيينة وأبو عاصم ويحيى بن معين وغيرهم "سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث"[4].

عن أبي حنيفة قال: "لو كان سفيان الثوري في التابعين لكان فيهم له شأن"[5] وعدّه بشر الحافي كأبي بكر وعمر في زمانهما[6].

وقال ابن المبارك: كتبت عن ألف ومائة شيخ ما كتبت عن أفضل من سفيان[7].
وقال الدوري: رأيتَ يحيى بن معين لا يقدم على سفيان في زمانه أحداً في الفقه والحديث والزهد وكل شيء[8].

وقال أحمد بن حنبل: لا يتقدم على سفيان في قلبي أحد[9].

قال الخطيب: كان إماماً من أئمة المسلمين. وعلماً من أعلام الدين.

مجمعاً على إمامته. بحيث يستغنى عن تزكيته مع الإتقان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد.[10]

---

[1] الذهبي، السير، ج٧ ص٢٣٠ .

[2] ابن العماد، شذرات الذهب، ج٢ ص٢٧٥ .

[3] الداودي، طبقات المفسرين، ج١ ص١٩٦ .

[4] الذهبي، السير، ج٧ ص٢٣٦، وابن حجر، التهذيب ج٢ ص٥٧ .

[5] السير، ج٧ ص٢٣٨ .

[6] المرجع السابق.

[7] البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩ ص١٥٦ .

[8] ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢ ص٥٧ .

[9] ابن العماد، شذرات الذهب، ج٢ ص٢٧٤ .

[10] ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص٥٧ .

ومن أقواله حين أمسك بدنانير قال: "لولاها لتمندل بنا الملوك"[١].

ومن قوله: "ينبغي للرجل أن يكره ولده على العلم فإنه مسؤول عنه"[٢]

وللقولين علاقة بأثر التربية التي وجدها من أمه.

دور والدة سفيان الثوري في إعداده:

كانت أم سفيان الثوري سيدة صالحة تُقدّر العلم والعلماء، وترجو لابنها أن يكون من ذلك الصنف من العلماء العاملين بما يعملون، وتظهر لنا حصافة ورجاحة عقل تلك المرأة في نصيحتها لسفيان، إذ قالت له: "يا بني اطلب العلم، وأنا أعولك بمغزلي، وإذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى نفسك زيادة في الخير، فإن لم ترَ فلا تقف".[٣]

وفي رواية (... فانظر هل ترى في نفسك زيادة في مشيك وحالك، وحلمك ووقارك، فإن لم ترَ ذلك، فاعلم أنه يضرك ولا ينفعك).[٤]

لقد نشأ وترعرع سفيان في رعاية أم نذرت نفسها لخير ولدها فهي تريد إعالته بمغزلها، وهو ما تجيده من أعمال، عملٌ شاقٌ مضنٍ يستنفد كل جهدٍ ووقت، وفي تعهدها ذاك تكفلٌ بنفقات طلبه للعلم وهي ليست يسيرة، أرادت أن تغرس العزة في نفسه منذ الصغر فلا تحوجه إلى أحدٍ من الناس، رغم رقة حاله، حتى لا يكون لعطية أحدٍ من الناس ثقلاً على نفسه، أو صارفاً له عن أن يصدح بكلمة الحق، وهكذا كان سفيان هذا العالم المصلح، إذ وقف حياته من أجل الجهر بكلمة الحق رافضاً عطايا السلاطين وهو القائل في نظرته إلى المال (لولاها لتمندل بنا الملوك)[٥].

كما وتظهر لنا رجاحة عقلها حين تذكر ولدها بغاية العلم وهدفه، فهي لا تريد لولدها من وراء تعليمه الجاه والثراء وإنما أن يزداد من الخير، ومقياس ذلك الانتفاع يظهر من خلال سلوكه، ونضوج عقله ما يظهر أثراً على جوارحه، وحكمةً على لسانه، وإلا فصرف الوقت فيما لا ينعكس نفعه وأثره كل صاحبه ضرر.

---

(١) السير، ج٧ ص٢٤١ .

(٢) المرجع السابق، ج٧ ص٢٧٣ .

(٣) الذهبي، السير، ج٧ ص٢٦٩ .

(٤) المناوي، الكواكب الدرية، ص١٦٧.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٧ ص٢٦٩ .

لقد ظهرت عظمة الأم العاقلة وعظمة رجائها في ولدها في مضـــــامين الكلمـــات الموجهة الدافعة للانطلاق بخطىً ثابتة واثقة على طريق العلم المحقق لأهدافه فعكست لنـــا كلماتها نوعية التربية التي صاغت تلك الشخصية الصلبة.

٤- الإمام مالك بن أنس – رحمه الله – :

أولاً: حياته:

١- اسمه ونسبه:

أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو ابن الحارث بن غيمان بن خُثيل بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبح بن عوف بن زيد بن شداد ... الحميري ثم الأصبحي[1] وحمير من قحطان وإلى قحطان جماع اليمن.

٢- مولده ونشأته:

على الأصح أن مولده كان في العام الذي توفي فيه أنس خادم رسول الله ﷺ أي في سنة ثلاث وتسعين، وقد نشأ في صونٍ ورفاهيةٍ وتجمل.[2]

٣- وفاته:[3]

مات سنة تسع وسبعين ومائة، لعشر مضت من ربيع الأول ودفن بالبقيع، عن أربع وثمانين سنة، وقيل تسعين.

ثانياً: مكانته العلمية:

وتظهر لنا من خلال :

١- شيوخه:

وهم كثير منهم: عامر بن عبدالله بن الزبير بن العوام، ونعيم بن عبدالله المجمر، وزيد بن أسلم ونافع مولى بن عمر، وحميد الطويل، وسعيد المقبري، والزهري، وربيعة بن أبي عبدالرحمن ، وأبي الزناد وعبد ربه ويحيى ابني سعيد، وهشام بن عروة، وأيوب السختياني، وجعفر بن محمد الصادق، وعبدالرحمن بن القاسم، ومخرمة بن بكير وخلق غيرهم كثير.[4]

٢- تلامذته:

وهم كثير منهم: الأوزاعي، والثوري، وشعبة بن الحجاج، وابن جريج، والليث بن سعد، وابن عيينة، وغيرهم من أقرانه وممن هو أكبر منه. وأبو اسحاق الفزاري،

---

[1] الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٨ ص٤٨ .

[2] المرجع السابق، ج٨ ص٤٩ .

[3] المرجع السابق، ج٨ ص١٣٠، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٢ ص٣٥٣.

[4] ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤ ص٨ .

والشافعي، وابن المبارك وابن القاسم، وأبو الوليد الطيالسي، وعبدالله بن يوسف التينسي، ومصعب بن عبدالله الزبيري وهشام بن عمار وآخرون.[1]

مصنفاته:

منها رسالة في "الوعظ" وكتاب في "المسائل" ورسالة في "الرد على القدرية" وكتاب في "النجوم" و"تفسير غريب القرآن". وأشهر مصنفاته كتابه "الموطأ".[2]

ولمكانة الموطأ اشتد الاعتناء به حتى قال القاضي عياض: (لم يعتن بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناء الناس بالموطأ، فإن الموافق والمخالف اجتمع على تقديره وفضله وروايته وتقديم حديثه وتصحيحه.[3]

وقال فيه الشافعي: (ما كتاب أكثر صواباً، بعد كتاب الله، من كتاب مالك يعني الموطأ)[4]، وقول الشافعي هذا كان قبل ظهور صحيحي البخاري ومسلم اللذين قدمهما الجمهور عليه .

ثناء العلماء عليه:

قال مالك: دخلت على أبي جعفر – ثم قال: أنت –والله أعلم– أعقل الناس وأعلم الناس، قلت: لا والله يا أمير المؤمنين قال: بلى، ولكنك تكتم، لئن بقيت لأكتبن قولك كما يكتب المصاحف، ولأبعثن به إلى الأفاق فأحملهم عليه[5].

وقال أبو مصعب عن مالك: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك[6]. قال ابن عيينة في حديث أبي هريرة عن الرسول عليه السلام قال: يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم، فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة[7]" هو مالك. وكذا قال عبدالرزاق[8].

---

[1] ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤ ص٨ .

[2] الذهبي، السير، ج٨ ص٨٩. الزركلي، الأعلام، ج٥ ص٢٥٧ .

[3] القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج١ ص١٩٨ .

[4] ابن عبدالبر، التمهيد، ج١، ص٧٦، والذهبي ، تذكرة الحفاظ، ج١ ص٢٠٨ .

[5] الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١ ص٢٠٩ .

[6] ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤ ص٨ .

[7] أحمد ، المسند، ج٢ ص٢٩٩ .

[8] ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤ ص٨ .

وكان يقول أيضاً: "مالك عالم أهل الحجاز وهو حجة زمانه"[1].

قال الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالك النجم"[2].

قال ابن المهدي: "ما رأيت رجلاً أعقل من مالك"[3].

وكان لا يقدم على مالك في حجة الحديث أحداً"[4].

قال ابن معين: "مالك من حجج الله على خلقه"[5].

قال النسائي: "ما عندي بعد التابعين أنبل من مالك، ولا أجلّ منه، ولا أوثق منه ولا آمن على الحديث منه، ولا أقل رواية عن الضعفاء"[6].

وقال ابن حبان: "كان مالك أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة. وأعرض عمن ليس بثقة في الحديث ولم يكن يروي إلا ما صح، ولا يحدّث إلا عن ثقة مع الفقه والدين والفضل والنسك وبه تخرج الشافعي"[7].

قال الذهبي: "وقد اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره، أحدها طول العمر، وثانيتها الذهن الثاقب، والفهم وسعة العلم، وثالثتها: اتفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية، ورابعتها: تجمعهم على دينه وعدالته واتباعه السنن، وخامستها: تقدمه في الفقه والفتوى وصحة قواعده"[8].

دور والدة مالك في إعداده:

وقفتنا هذه مع أمٍ فرضت نفسها على الزمان المتطاول حين أنجبت علماً من أعلام الأمة، وحين أحسنت توجيهه، إنها أم الإمام مالك وهي أزدية نسبة إلى أشهر قبائل العرب التي قال النبي ﷺ في حقها "الأزد جرثومة العرب"[9]، إشارة إلى الصفات المتأصلة في هذه القبيلة، وهو أمرٌ له أثره في شخصية الإمام مالك فيما يتعلق بالصفات الموروثة .

---

(1) الذهبي، السير، ج8 ص57 .

(2) ابن العماد، شذرات الذهب، ج2 ص353 .

(3) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج4 ص8 .

(4) الذهبي، السير، ج8 ص94 .

(5) المرجع السابق.

(6) ابن حجر، التهذيب، ج4 ص8 .

(7) المرجع السابق.

(8) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1 ص212.

(9) المرجع السابق.

وهنا سأقف مع رواية لا أرى بأساً من إيرادها في مجال التربية، وهي ما نسب إلى الإمام مالك من قوله: (نشأت وأنا غلام، فأعجبني الأخذ عن المغنين، فقالت أمي: يا بني إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه، فدع الغناء واطلب الفقه، فتركت المغنين وتبعت الفقهاء فبلغ الله بي ما ترى")[1].

ومما يلفت الانتباه هنا -على فرض صحة الرواية- ذلك الأسلوب اللين اللطيف الذكي الذي أوحت الأم من خلاله لولدها بحقيقة الأمور، فليس جمال الوجه - وهو ما كان يتمتع به الإمام مالك- بالأمر الذي يُعتمد عليه في تحقيق الجاه، فذلك جاهٌ زائف زائل لا قيمة جوهرية له، بل العلم هو الجاه الحقيقي الذي يدوم نفعه وتظهر فيه مجهودات الرجال في التفوق والتقدم.

وقد أدرك مالك ذلك المعنى الخفي الذي تحمله عبارة الأم الذكية، فلم تتحد فيه تلك الرغبة حتى لا تحيلها إلى تعلق بما هو ممنوع، بل خاطبت فيه عقله النامي، موحية إليه برأيٍ يتبناه عن قناعة منه، وتفضيل له على ما عداه.

لقد اختارت له بديلاً يرفع مكانته، بديلاً يرفع الرجال درجات من أي بيتٍ جاءوا وفي أي ظروف نشأوا، وبأي صورةٍ ظهروا، فلما اتجه إلى طلب العلم، اتبعت تلك الأم أسلوباً فريداً في تشجيعه وترغيبه في هذه الطريق، فألبسته ثياب العلم، وفي ذلك يقول الإمام مالك: (فألبستني ثياباً مشعرة، ووضعت الطويلة على رأسي - يعني القلنسوة الطويلة- وعمتني فوقها، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن)[2].

كم كانت فرحة الغلام وهو يرى نفسه يلبس ثياب العلماء التي إذا ما ظهروا بها أثاروا في النفس مشاعر الإجلال والتقدير، وفرضوا على من يراهم -بهيبتهم- الإنصات لهم، لقد أوحت إليه بذلك التصرف أنه ما عاد منذ تلك اللحظة كآحاد الناس، شعورٌ ولدته في داخل الصغير فأشعرته أنه عظيم، ومطالب بتكاليف تلك العظمة، كم من سنوات النمو والنضج والشعور أضافته تلك الأم إلى صغيرها بذلك التصرف، وهي تقدر تماماً ما هي الخامة التي بين يديها، طفلٌ تشع عيناه بالذكاء وتدل تصرفاته على الوعي والإدراك، فلم لا ترعى ذلك النبوغ فيه وتوجهه ؟.

---

[1] ابن نباته، محمد بن محمد المصري، سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون، ص١٨١.

[2] القاضي عياض، الإلماع، ص٤٧ .

ولا تتركه يقع في حيرة تتنازعه الرغبات في أي الحلقات يجلس وقد زادت حلقات العلم حينئذٍ عن سبعين حلقة[1]. فإن كانت ترى في ولدها تلك العظمة، إذاً فلمَ لا تختار لـه أشهر الفقهاء وأعظم الحلقات، حلقة ربيعة الرأي، فتقول (يا بني إيت مجلس ربيعة فتعلـم من سمته وأدبه قبل أن تتعلم من حديثه وفقهه)، وفي رواية (تعلم من علمه قبل أدبـه)[2]. والقصد هنا العلم والأدب جميعاً، موحية إليه بأهداف طلب العلم ، فليس الغاية الحفـظ المجرد بل تحصيل أمرين لهما تبعاتهما الكثيرة العلم والأدب.

ولعل في اختيارها لربيعة الرأي ما له علاقة بمنهج هذا العالم الذي كـان يجتـهد ويستنبط الأحكام فيما لا نص فيه، فأرادت بهذا الاختيار تنمية القدرات العقلية لدى مـالك وليس مجرد الحفظ، فضلاً عما يمثله ربيعة من مثلٍ أعلى يقتدى به علماً وسلوكاً ومنهجاً، فهو في مقتبل العمر وله أكبر الحلقات، أليس في ذلك حافز لمالك لأن ينخرط في حلقتـه وينهل من علمه ويصل إلى ما وصل إليه من علم وفضل ومكانة.

لقد ثبتت خطاه على الطريق بمنهج فريد، وتربية عظيمة، متبعة في ذلـك أنجـع الأساليب التي تدفع الأبناء لتحقيق رغبات الآباء وآمالهم، لقد قدمت جهداً عظيماً آتىَ ثمـرةً عظيمة طيبة.

---

[1] ابن عبد البر، التمهيد، ج١ ص٤ .

[2] نقلاً عن الشكعة، مصطفى، الأئمة الأربعة، ص٦٨ .

٥- الإمام الشافعي – رحمه الله-:

أولاً: حياته:

١- اسمه:

محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبدالمطلب بن عبد مناف ... أبو عبدالله[١].

٢- نسبه:

قال بعض أهل العلم بالنسب (وقد وصف الشافعي أنه شقيق رسول الله ﷺ في نسبه، وشريكه في حسبه، لم تنل رسول الله ﷺ طهارة في مولده، وفضيلة في آبائه إلا وهو قسيمه فيها إلى أن افترقا في عبد مناف ... والشافعي ابن عم رسول الله ﷺ ، وابن عمته لأن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، والشفاء بنت هاشم بن عبد مناف أخت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ، وأما أم الشافعي فهي أزدية)[٢].

٣- مولده ونشأته:

ولد بغزة من بلاد الشام، وقيل أنه ولد باليمن، ونشأ يتيماً في حجر أمه، ثم بعثت به إلى مكة حيث جعل يطلب العلم، وكان مولده في عام خمسين ومائة.[٣]

٤- وفاته:

مات الشافعي –رحمه الله- سنة أربع ومائتين وهو ابن أربع وخمسين سنة، بمصر[٤].

ثانياً: مكانته العلمية:

١- شيوخه:

ومنهم: مسلم بن خالد الزنجي، ومالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد، وسعيد بن سالم القداح، والدراوردي، وعبدالوهاب الثقفي، وابن علية، وابن عيينة، وأبي ضمرة، وحاتم بن اسماعيل، وإبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، وإسماعيل بن جعفر، ومحمد بن خالد الجندي،

---

[١] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠ ص٥ .

[٢] ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، لابن عساكر، ج٢١ ص٣٥٨ .

[٣] المرجع السابق، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠ ص٦ .

[٤] ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، لابن عساكر، ج٢١ ص٤١٢.

وعمّه محمد بن علي بن شافع وعطاف بن خالد المخزومي، وهشام بن يوسف الصنعاني، وجماعة[1].

٢- تلامذته:

سليمان بن داود الهاشمي، وأبو بكر عبدالله بن الزبير الحميدي، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وأبو ثور إبراهيم بن خالد وأحمد بن حنبل، وابو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي، وحرملة، وأبو الطاهر بن السرح، وأبو إبراهيم اسماعيل بن يحيى المزني، والربيع بن سليمان المرادي، والربيع بن سليمان الجيزي، وعمرو بن سواد العامري، والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، وابو الوليد موسى بن أبي الجارود المكي، ويونس بن عبد الأعلى، وأبو يحيى، محمد بن سعيد بن غاب العطار وآخرون[2].

٣- رحلاته:

طلب العلم بمكة ثم ارتحل إلى المدينة واليمن وبغداد ومصر آخذاً عن أشهر العلماء في كل بلد ينزل فيه حتى استقربه المقام في مصر .[3]

٤- مصنفاته:

أشهرها "الأم" و"الأمالي الكبرى" و"الإملاء الصغير" و"الرسالة" و"السنن".[4]

٥- ثناء العلماء عليه:

قال أحمد بن حنبل (إن الله يقيض للناس في كل رأس مائة من يعلمهم السنن وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب، فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبدالعزيز وفي رأس المائتين الشافعي"[5].

---

[1] ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣ ص٤٩٨، وانظر الذهبي، السير، ج١٠، ص٩ .

[2] المرجع السابق.

[3] ابن العماد، شذرات الذهب، ج٣ ص٢٠ .

[4] ابن العماد، المرجع السابق.

[5] ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣ ص٤٩٨، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٣ ص٢٠ .

وقال أيضاً: (هذا الذي ترون كله أو عامته من الشافعي، وما بت منذ ثلاثين سـنة إلا وأنا أدعو الله للشافعي وأستغفر له)[١].

وكتب عبدالرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يصنع له كتاباً فيه معاني القرآن ويجمع قبول الأخبار فيه، وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ فوضع له كتاب الرسالة، فكان عبدالرحمن يقول: ما أصلي صلاة إلا وأنا أدعو للشافعي فيها[٢].

وقال أبو عبيد: "ما رأيتُ رجلاً أعقل من الشافعي"[٣].

وكان قتيبة يقول: "الشافعي إمام"[٤].

وقال أبو ثور: "من زعم أنه رأى مثل محمد بن إدريس في علمه وفصاحته وثباته وتمكنه ومعرفته فقد كذب، كان منقطع القرين في حياته[٥].

وقال أبو الوليد بن أبي الجارود: (ما رأيتُ أحداً إلا وكتبه أكبر من مشاهدته إلا الشافعي فإن لسانه كان أكبر من كتابه)[٦].

وقال الحسن الكرابيسي: (ما كنا ندري ما الكتاب والسنة نحن والأولون حتى سمعنا من الشافعي)[٧].

وقال أحمد بن سيار المروزي: (لولا الشافعي لدرس الإسلام)[٨].

وقال الذهبي: "لا نلام والله على حب هذا الإمام، لأنه من رجال الكمال في زمانه".[٩]

---

[١] ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣ ص٤٩٨.

[٢] المرجع السابق.

[٣] المرجع السابق.

[٤] المرجع السابق.

[٥] ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣ ص٤٩٨.

[٦] المرجع السابق.

[٧] المرجع السابق.

[٨] المرجع السابق.

[٩] الذهبي، السير، ج١٠ ص٩٩ .

دور أم الإمام الشافعي في إعداده:

وهي أزدية وكان يونس بن عبدالأعلى يقول: أم الشافعي، فاطمة بنت عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[1]، وقد سبق لنا الحديث عن فضل هذه القبيلة في حديثاً عن أم الإمام مالك، وأن شرف القبيلة له أثره في الصفات الموروثة غالباً، إذاً فلقد أخذ الإمام الشافعي من صفات أمه المنتمية إلى تلك القبيلة العربية الأصيلة.

ولما حملت بالشافعي رأت فيما يراه النائم (كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقض بمصر، ثم وقع في كل بلدة منه شظية فتأوله المعبر أنها تلد عالماً، يخص علمه أهل مصر، ثم يتفرق في البلدان)[2].

وكان لتلك الرؤيا أثرها في نفس أمه حيث عملت جاهدة على أن يكون ما رأته رؤيا حق، وظلت بشائر تلك الرؤيا تلوح لها كلما نما الشافعي، فتدفعها نحو العناية الخاصة به بعدما فقدت زوجها وأصبح هذا الطفل يتيماً يحتاج إلى رعاية مضاعفة منها، فعكفت على تربيته مؤثرة حياة الترمل كما فعلت أم الإمام أحمد من بعدها، فوقفت من ورائه تدفعه إلى معلم وراء معلم حتى بلغ مرحلة النضج مدركة أن أعظم توجيه تقدمه للولد هو حب العلم والإقبال عليه مهما ضاقت ذات اليد.

لقد أحسنت التوجيه والإدارة والتدبير لما كانت تتمتع به من حذق وذكاء وتفقه في الدين وقدرة على الاستنباط[3]. ودليل ذلك ما يورده ابن حجر من أنها "تقدمت هي وامرأة أخرى مع رجلٍ للإدلاء بشهادة أمام القاضي فأراد القاضي أن يفرق بين المرأتين، ولكن والدة الشافعي اعترضت عليه محتجة بقوله تعالى: "أن تضل أحداهما فتذكر أحداهما الأخرى"[4] فما كان من القاضي إلا أن انصاع لرأيها[5].

ومما يدلنا على حسن التدبير والتوجيه فيما يتعلق بشأن ولدها خاصة ، أنها رأت أن المكان الأمثل لنشأته هو مكة لا غزة التي ولد بها، ذلك أن مكة هي موطن أهله

---

[1] ابن حجر، المرجع السابق، ص٤٩٩ .

[2] الذهبي، السير، ج١٠ ص١٠، وابن منظور مختصر تاريخ دمشق، ج٢١ ص٣٥٩ .

[3] مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة، ص٤٨٤ .

[4] آية ٢٨٢ من سورة البقرة.

[5] ابن حجر، توالي التأسيس، ص٤٢ .

وعشيرته وفي ذلك يقول الشافعي: (... فخافت أمي عليّ الضيعة وقالت الحـــق بـــأهلك فتكون مثلهم، فإني أخاف عليك أن تُغلب على نسبك فجهزتني إلى مكة ...)(١).

لقد أدركت أهمية انتسابه إلى أهله وعشيرته وهم الهاشميون، ولم ترد لهذا النسب الشريف الضياع فهو مصدر عزة وقوة، وهو ما يجعله ينشأ عزيز النفس واثقاً بنفسه متعلقاً بمعالي الأمور، محافظاً على شرف هذا النسب، وكلها أمور لازمة لتلك المكانة العلمية التي كانت أمه تُعدُّه لها فضلاً عما سيكتسبه في إقامته بمكة من علم ولغة، وبهذا غلبت حكـم العقـل على العاطفة، مرسلة نظرها نحو الأفق محررة إياه من المحدودية.

وبإشراف وتوجيه دائم ترقى في مراتب العلم، حفظ القرآن الكريم والموطأ ابن سبع سنين، وهي التي لم تكن تجد ما تعطيه لمعلم لقاء تعليمه(٢). ومع ذلك عملت جاهدة على تـــأمين الضروريات، دون أن تحوجه إلى التكسب صغيراً حتى لا يكون ذلك شاغلاً له عن طلـب العلم، حتى أنها في إحدى المرات رهنت ثوبها وقيل دارها لأجل تأمين إحدى ســفراته(٣)، وغرست فيه عزة النفس برغم فقره فكان يقول: (من لم تُعزّه التقوى فلا عزّ لـــه، ولقـد ولدت بغزة، وما عندنا قوت ليلة، وما بتنا جياعاً قط)(٤). وعلى الرغم مـن فقـره كـان أسخى الناس(٥) وهو ما ورثه عن الأزد.

---

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٢١ ص٣٩٠ .

(٢) المرجع السابق، ج٢١ ص٣٦٠، السير، ج١٠ ص١١ .

(٣) ابن منظور، مختصر ابن عساكر، ج٢١ ص٣٦٠، وابن عبدالبر، جامع بيان العلم وفضله، ج١ ص١١٨ .

(٤) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٢١ ص٣٩٨-٤٠٠.

(٥) المرجع السابق.

٦- الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - :

أولا : حياته

١- اسمه ونسبه:

هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، بن إدريس بن عبدالله بن حيّان بن عبدالله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان[1]، وشيبان قبيلة ربيعية عدنانية، تلتقي مع النبي ﷺ في نزار بن معد بن عدنان، وفي هذه القبيلة همة وإباء، وحمسية .... و قيل "إذا كنت في ربيعة فكاثر بشيبان وفاخر بشيبان، وحارب بشيبان"[2] فهو شيباني في نسبه لأبيه و أمه.

٢- مولده ونشأته:

ولد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومئة في مرو، ونشأ يتيماً في رعاية أمه[3]، فاجتمع له مع علو النسب واليتم رقة الحال وهذا ما ترك أثره في حياة أحمد بن حنبل فجعله يتجه إلى معالي الأمور، ويتجافى عن سفائفها، وترفع عن الدنايا، فلا يصيب الفقر نفسه بذل، ولا يتطامن عن رضعة، ويسعى إلى المجد بهمة، وفقره جعله يحس بإحساس الناس فعمل لهم[4].

٣- وفاته:

مات لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين[5].

ثانياً: مكانته العلمية:

كانت للإمام أحمد مكانة رفيعة بين علماء عصره ومن تبعهم وتظهر لنا مكانته من خلال:

١- شيوخه:

فروى عن: بشر بن المفضل، وإسماعيل بن علية، وسفيان بن عيينة، وجرير بن عبدالحميد، ويحيى بن سعيد القطان، وأبي داود الطيالسي، وعبدالله بن نمير، وعبدالرزاق، وعلي بن عياش الحمصي، والشافعي، وغندر، ومعتمر بن سليمان، وجماعة كثيرين[6].

---

[1] أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج٩ ص١٦٢ .

[2] الخطيب، البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥ ص١٨٠ .

[3] بتصرف: محمد أبو زهرة، ابن حنبل ، ص١٩-٢٠ .

[4] الخطيب ، البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥ ص١٨٧-١٨٨ .

[5] المرجع السابق.

[6] ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١ ص٤٣ والذهبي، السير، ج١١ ص١٨٠ .

٢- تلامذته:

روى عنه: البخاري، ومسلم، وأبو داود، وأسود بن عامر شاذان وابن مهدي، والشافعي، وأبو الوليد، وعبدالرزاق، ووكيع، ويحيى بن آدم، ويزيد بن هارون - وهم من شيوخه- وقتيبة، وداود بن عمرو، وخلف بن هشام، -وهم أكبر منه- وأحمد بن أبي الحواري، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، والحسين بن منصور، وزياد بن أيوب، ودحيم، وأبو قدامة السرخسي، ومحمد بن رافع، ومحمد بن يحيى بن أبي سمينة، وهؤلاء من أقرانه، وابناه: عبدالله، وصالح، وتلامذته: أبو بكر الأثرم، وحرب الكرماني، وبقي بن مخلد، وحنبل بن إسحاق، وشاهين بن السميدع، والميموني، وغيرهم، وآخر من حدث عنه أبو القاسم البغوي[1].

٣- مصنفاته:

وله عدة مصنفات منها ما هو مطبوع ومنها ما فُقد، وأشهر مصنفاته "المسند" يحتوي على ثلاثين ألف حديث أو أكثر، وله كتب في "التاريخ" و"الناسخ والمنسوخ" و"التفسير" و"فضائل الصحابة" و"الزهد" و"العلل والرجال"[2].

٤- رحلاته:

نشأ في بغداد ثم ارتحل إلى البصرة والحجاز واليمن وغيرها[3].

ثناء العلماء عليه:

قال ابن حبان في "الثقات": كان حافظاً متقناً فقيهاً ملازماً للورع الخفي، مواظباً على العبادة الدائمة، أغاث الله به أمة محمد ﷺ ، وذاك أنه ثبت في المحنة وبذل نفسه لله حتى ضرب بالسياط للقتل فعصمه الله تعالى عن الكفر، وجعله علماً يقتدى به، وملجأ يلجأ إليه[4].

قال الذهبي: شيخ الإسلام وسيد المسلمين في عصره الحافظ الحجة أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل[5] .

---

[1] ابن حجز تهذيب التهذيب، ج١ ص٤٣ والذهبي السير ج١١، ص١٨٠.

[2] الموصلي أبو يعلى طبقات الحنابلة، ج١ ص ٥-٨.

[3] محمد أبو زهرة، ابن حنبل، ص٢٥ .

[4] ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١ ص٤٣ .

[5] الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٢ ص٤٣٢ .

قال الشافعي: خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلا أفضل ولا أعلم من أحمد[1] بن حنبل. وقال علي بن المديني: إن الله أيد هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردة وبأحمد بن حنبل يوم المحنة[2].

دور والدة الإمام أحمد بن حنبل في إعداده:

بدأ دور هذه الأم في إعداده منذ أن حملت به فأورثته صفات النبوغ والعظمة، فهي صفية بنت ميمونة بن عبدالملك بن شيبان حفيدة واحد من كبـار الشـيبانيين وعظمائـهم المشهورين بالكرم والجود[3].

فكان أول ما أثرى شخصية هذا الإمام تلك الصفات الموروثة التي أخذها عن أبويه إلا أن دور الأب كان قصيرا إذ توفي وأحمد ما زال طفلا[4] ليبقى في كفالة أمه الشـيبانية تحفظه مفاخر قومها، ومآثر الرسول ﷺ والصحابة، فغرست فيه قيم الإسلام ومبادئه مـنذ أن كان طفلا[5].

واختارت له طريق العلم وأوقفته على عدد من المشايخ، فـدرس اللغـة وحفـظ القرآن، وهو في بداية عمره، منفقة عليه من غلة عقار تركه أبوه إلا أن المـردود كـان قليلا[6]. لكن حسن تدبير تلك المرأة مكنها من النفقة من هذا المردود فيما هو ضـروري، ومما يؤكد حسن تدبيرها أنها احتفظت بلؤلؤتين نزعتهما من أذن الصغير لما ترعرع، ثـم دفعتهما إليه حين كبر واحتاج المال لطلب العلم، فباعهما بنحو من ثلاثين درهما[7]. مبتعدة بما فعلته بولدها عن مظاهر الميوعة واللين، غارسة فيه معـاني الرجولـة، فبمجـرد أن لمحت فيه معاني الوعي والفهم نزعت اللؤلؤتين من أذنه.

كان ورع الأم وزهدها دافعا للإمام أحمد في اقتفاء خطاها على هذا الطريق طوال حياته، فلم يطلب عونا من أحد ولم يقبل عطية أحد مقصدا فيما بين يديه.

---

(1) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٢ ص٤٣٢ .

(2) المرجع نفسه.

(3) الموصلي أبو يعلى، طبقات الحنابلة ج١ ص٥ .

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤ ص٤١٥ .

(5) محمد اسماعيل ابراهيم، أئمة المذاهب الأربعة، ص١٢٦.

(6) الموصلي طبقات الحنابلة ج١ ص١٠ .

(7) الذهبي، السير، ج١١ ص١٧٩ .

أمّا تضحية الأم التي لا يمكن تجاوزها، فهي في ترملها المبكر وهي في مقتبل العمر، إلا أنها آثرت مصلحة الإبن على مصلحتها، مسخرة نفسها ومشاعرها وجهدها كاملاً لتنشئته تنشئة عظيمة تعوضها عما فقدته فلا تذهب تضحيتها هباءً.

وهكذا كانت رديفاً لابنها تشجعه وتحثه على طلب العلم، ترقبه عن كثب لتقدم له النصيحة والإرشاد كلما لزم الأمر، فقد روى الإمام أحمد : (كنت ربما أردت البكور في الحديث فتأخذ أمي ثيابي، وتقول "حتى يؤذن المؤذن للفجر أو حتى يصبح الناس)[1]. مظهرة عاطفة الأمومة الصادقة دون ما تغلبها على عقلها، فهي إنما تريد تنظيم وقته لا الحيلولة بينه وبين طلب العلم أو العبادة بدافع الشفقة العمياء .

---

[1] أبو زهرة، محمد . الإمام أحمد بن حنبل، ص٢٦ .

من خلال ما سبق نقف على أمرين بارزين قدمتهما هذه الأم[1]:

الأول: تفرغها وامتناعها عن الزواج بهدف المحافظة على كرامة الابن وعزة نفسه فلسان حالها يقول: لن يكون لابني ولي إلا الله ، فلا للزوجية التي قد تحول بأعبائـــها دون تربية ابني.

والثاني: أنها اختارت لابنها أعظم طريق يسلكه السالكون، طريق العلم وهـــو مـــا يحقق رجاءها فيه.

ونلحظ التشابه الكبير بين والدتي الشافعي وأحمد فكلتاهما ترملتا وتفرغتا للعنايـــة بصغيريهما واختارتا العلم لهما فكانت ثمرة ذلك أن صار كل إماما من الأئمة وعلما مـــن الأعلام، وبسبب تلك الرعاية الخاصة لم يشعر أحمد بالحاجة إلى الزواج مبكرا[2]، وإنمـــا تزوج بعد أن بلغ من العمر كذا .

---

(1) سعد بن خلف، مسيرة المرأة العربية، ص١٤٠ .

(2) مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة، ص٦٨٩ .

٧- **الإمام البخاري – رحمه الله – :**

أولاً : حياته :

١- اسمه:

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، أبو عبدالله الجعفي البخاري[١].

٢- نسبه:

بردزبه كان مجوسياً ومات عليها والمغيرة أسلم على يدي يمان البخاري والي بخارى، والبخاري قيل له جعفي لأن أب جده أسلم على يدي أبي جد عبدالله المسندي يمان وهو جعفي فنسب إليه لأنه مولاه من فوق[٢].

٣- مولده ونشأته:

ولد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنة أربع وتسعين ومائة ونشأ يتيماً محباً لطلب العلم[٣].

٤- وفاته[٤]:

توفي ليلة السبت ليلة الفطر عند صلاة العشاء ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ستٍ وخمسين ومئتين، وعاش اثنين وستين سنة.

ثانياً: مكانته العلمية: كانت مرموقة نقف عليها من خلال:

١-**طلبة العلم:** ويروي محمد بن أبي حاتم في ذلك (قلت لأبي عبدالله كيف كان بدء أمرك؟ قال: أُلهمتُ حفظ الحديث وأنا في الكتاب، فقلت كم كان سنك؟ فقال: عشر سنين، أو أقل، ثمّ خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي، وغيره ....، فلما طعنت في ست عشرة سنة كنتُ قد حفظتُ كتب ابن المبارك ووكيع وعرفتُ كلام هؤلاء، ثمّ خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججتُ رجع أخي بها وتخلفتُ في طلب الحديث)[٥].

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢ ص٤. الذهبي، السير، ج١٢ ص٣٩١ .

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢ ص٦ .

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) الذهبي، السير، ج١٢ ص٣٩٣ .

شيوخه:

سمع مرويات بلده من محمد بن سلام، والسندي، ومحمد بن يوسف البيكندي، وسمع ببلخ من مكي بن إبراهيم، وببغداد من عفان، وبمكة من المقرئ وبالبصرة من أبي عاصم والأنصاري. وبالكوفة من عبيدالله بن موسى، وبالشام من أبن المغيرة والفريابي، وبعسقلان من آدم، وبحمص من أبي اليمان، وبدمشق من أبي مسهر[1].

تلامذته:

حدث عنه الترمذي ومحمد بن نصر المرزوي الفقيه، وصالح بن محمد جزرة، ومطين، وابن خزيمة وأبو قريش محمد بن جمعه، وابن مساعد، وابن أبي داود، وأبو عبدالله الفربري، وأبو حامد ابن الشرفي ومنصور بن عمر البزدوي، وأبو عبدالله المحاملي، وخلق كثير[2].

٤- مصنفاته:

أشهرها كتابه "الجامع الصحيح" وفيه يقول (ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صحّ ..)[3] وقال (ما وضعتُ في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين)[4] وقال (أخرجتُ هذا الكتاب من زهاء ستمائة ألف حديث)[5]. وقال "صنفتُ الصحيح في ست عشرة سنة، وجعلته حجة بيني وبين الله تعالى"[6].

وله كتاب "التاريخ" وفيه يقول أبو العباس بن سعيد (لو أن رجلاً كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن كتاب التاريخ ..)[7].

---

(١) الذهبي، ج١٢ ص٣٩٦، وتذكرة الحفاظ ج٢ ص٥٥٥ .

(٢) المرجع السابق، ج١٢ ص٣٩٧ وتذكرة الحفاظ ج٢ ص٥٥٥ .

(٣) الخطيب، البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢ ص٩ .

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع نفسه.

(٦) الذهبي، السير، ج١٢ ص٤٠٥ .

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢ ص٨ .

ثناء العلماء عليه:

قال يحي بن جعفر: (لو قدرتُ أن أزيد عمر محمد بن إسماعيل من عمري، لفعلت، فإن موتي يكون موت رجلٍ واحد، وموته ذهاب العلم)[1]. وعن نعيم بن حماد (محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة)[2].

وعن أبي بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة (ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول ﷺ واحفظ له من محمد بن اسماعيل)[3].

قال الذهبي: شد وصنف وحدث وما في وجهه شعره، وكان رأساً في الذكاء رأساً في العلم، رأساً في الورع والعبادة[4].

وقال حاشد بن اسماعيل: كنت بالبصرة فقدم محمد بن اسماعيل فقال محمد بن بشار: دخل اليوم سيد الفقهاء.

وقال أبو قريش محمد بن جمعة: سمعت بندارا محمد بن بشار يقول: حفاظ الدنيا أربعة، فذكره فيهم.

وقال إسحاق بن أحمد بن خلف البخاري: حدثني حامد بن أحمد قال: ذكر لعلي بن المديني قول محمد بن إسماعيل: ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني، فقال: ذروا قوله، ما رأى مثل نفسه.

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: سمعتُ أبي يقول: انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان، فذكره فيهم. وقال أيضاً: سمعتُ أبي يقول: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل .

قلت –ابن حجر–: مناقبه كثيرة جداً قد جمعتها في كتاب مفرد ولخصت مقاصده في آخر الكتاب الذي تكلمت فيه على تعاليق "الجامع الصحيح"[5].

---

[1] السير، ج١٢ ص٤١٨ .

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع نفسه، ج١٢ ص٤٣١ .

[4] تذكرة الحفاظ، ج٢ ص٥٥٦ .

[5] ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣ ص٥١٠ .

دور والدة البخاري في إعداده:

وهنا أيضاً يظهر دور الأم المضاعف حينما تفقد زوجها وترى نفسها أمام أمانة جليلة، كثيراً ما تعجز الأمهات عن تحملها، لقد مات أبوه إسماعيل ليتركه يتيماً، فتضمه أمه تحت جناحيها ترعاه وتُعنى بتربيته تربية علمية فريدة مظهرةً فيها معاني التضحية والتجرد.

وكانت أول مراحل الإعداد حرصها على تحفيظه كتاب الله تعالى، فأرسلته إلى الكتاب مبكراً ليتمّ حفظه قبل العاشرة[1]. فكانت بذلك صاحبة الأثر الأول في سلوك البخاري لطريق العلم بالتوجيه والتشجيع والدعاء الذي عرفت هذه الأم بصدقه، فلقد امتحنت هذه الأم بفقدان بصر ابنها البخاري وهي لا تملك أمام هذه المحنة إلا صدق اللجوء إلى الله تعالى فعكفت على الدعاء حتى رأت في منامها الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام يبشرها برد الله تعالى بصر ابنها إليه لكثرة دعائها وصدقها فيه[2]. فتمثل شكرها على هذا الفضل والعطاء باستمرارها في تشجيع ابنها على طلب العلم وإزالة العقبات من طريقه، فما أن بلغ السادسة عشر حتى ألم بعلم شيوخ بلده، فصحبته معها إلى مكة لأداء فريضة الحج ومكة وقتئذٍ مركزاً من مراكز العلم، وملتقى العلماء فلما لاحظت رغبته بالبقاء في مكة طلباً للعلم آثرت مصلحته على رغبتها في إرجاعه معها ورجعت إلى بخارى[3] صابرةً على فراقه لا يفتر لسانها عن الدعاء له.

وبقي البخاري على تلك الحال مرتحلاً في طلب العلم من بلدٍ إلى آخر بعيداً عن عين الأم الرؤوف، وهي راضية مطمئنة فلا تتذمر ولا تشكو ولا تطلب منه العودة، فتغلبت على نزعة الأم الفطرية في استبقاء ولدها قريباً منها وعلى مرأىً من عينيها.

لقد كان البخاري ثمرة صبر وتضحية وحسن توجيه وتجرد ودعاء، فنشأ باراً بأمه ذاكراً لفضلها حتى كان من مصنفاته كتاب: (بر الوالدين).

وهكذا نرى كيف أسهمت الامهات في اعداد جبالاً في العلم حمل كل واحد منهم راية الحق وأعلى كلمته وبقيت آثار تربية امه له واضحة ماثلةً للأعيان في كل أطوار حياته.

---

[1] الذهبي، السير، ج١٢ ص٣٩٣ .

[2] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢ ص١٠ .

[3] المرجع السابق، ج٢ ص٧ .

المبحث الثاني

نماذج من الأعلام المتأخرين والمعاصرين

ويقصد بالمتأخرين من عاشوا بالقرن التاسع الهجري فما بعد. فكما وجد من السابقين من كانت لأمه دورٌ بالغ في تدريبه وإعداده. فقد وجد من المتأخرين والمعاصرين من كان لأمهاتهم الدور الأكبر في نشأتهم ونذكر منهم:

١- ابن الهمام :

أولاً: حياته:

١- اسمه ونسبه[١]:

هو محمد بن عبد الواحد بن عبدالحميد بن مسعود، الكمال بن همام الدين ابن حميد الدين بن سعد الدين السيواسي الأصل ثم القاهري الحنفي ويعرف بابن الهمام .

٢- مولده[٢]:

ولد سنة تسعين وسبعمائة بالاسكندرية .

٣- وفاته[٣]:

مات في يوم الجمعة سابع رمضان سنة إحدى وستين وثمانمائة.

ثانياً : مكانته العلمية:

- شيوخه وطلبه للعلم ورحلاته[٤]:

أكمل القرآن عند الشهاب الهيثمي في القاهرة وباسكندرية حفظ القدوري والمنار والمفصل للزمخشري وألفية النحو وأخذ النحو عن قاضي الاسكندرية الجمال يوسف الحميدي، وفي المنطق على العز عبدالسلام البغدادي والبساطي وأخذ شرح المطالع عن الجلال الهندي والدواوين السبع عن العيني وأخذ الفقه عن السراج، وسمع على الجمال عبدالله الحنبلي والشمسين الشامي والبوصيري وتغري برمش التركماني والشهاب الواسطي.

---

[١] السخاوي، الضوء اللامع، ج٨ ص١٣٢

[٢] المرجع السابق.

[٣] المرجع السابق، ج٨ ص١٣٢ .

[٤] المرجع نفسه، ج٨ ص١٢٧-١٢٨ .

- تلامذته[1]:

تخرج به جماعة، فمن الحنفية التقي الشمس والزين قاسم وسيف الدين، ومن الشافعية ابن خضر والمناوي والوروري، ومن المالكية عبادة وطاهر والقرافي، ومن الحنابلة الجمال بن هشام.

- مصنفاته[2]:

"فتح القدير" في شرح الهداية، ثمان مجلدات في الفقه الحنفي، و"التحرير" في أصول الفقه و"المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة" و"زاد الفقير" مختصر في فروع الحنفية.

- ثناء العلماء عليه[3]:

اختاره البساطي حكما للمناظرة بينه وبين العلاء البخاري قائلا: "... لأنه يصلح أن يكون حكم العلماء".

وقال يحيى بن العطاء: (لم يزل يضرب به المثل في الجمال المفرد مع الصيانة وفي حسن النغمة مع الديانة وفي الفصاحة واستقامة البحث مع الأدب).

دور جدة ابن الهمام في إعداده:

أخذت جدة ابن الهمام لأمه بيده منذ نعومة أظفاره متكفلة لتقوم لشؤون كافة بعدما فقد والده ولم يبلغ العاشرة بعد، وكان ابن الهمام من أصلين كريمين إلا أن والده لم يترك له من المال ما يكفي للنفقة عليه، فعملت جدته على تحمل عبء نفقته وتربيته معا.

عرفت هذه السيدة بالعلم والفقه وشغفها بهما، فاختارت له هذا الطريق لتحفظ باختيارها هذا كرامة الصبي.

وكان أول اهتمامها به أن أرسلته إلى عبدالرحمن العكبري فقيه الإسكندرية ليبدأ بتعليمه القرآن الكريم، ثم شعرت بضرورة ترحاله في طلب العلم لتتوسع مداركه وتتنوع مشاربه فقدمت به القاهرة بنفسها، وهناك استمرت عنايتها بتحفيظه القرآن الكريم حفظا

---

(1) السخاوي، الضوء اللامع، ج٨ ص١٣١ .

(2) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ج٧ ص ٢٩٩.

(3) الضوء اللامع، ج٨ ص١٢٩ .

واعياً مجوداً، فأرسلته إلى الشهاب الهيثمي ليتولى هذه المهمة حتى تمّ له ذلك فحفظ القرآن الكريم كاملاً.[1]

واستطاع ابن الهمام بهذه العناية الفائقة والتربية الموجهة والملازمة الحثيثة من تحصيل قسط كبير من العلم، فلم تترك لليتم أن ينال من تكامل شخصيته أو عزة نفسه وحالت من أن يصرفه يتمه عن سلوك أنفع المسالك، فكفته مؤونة نفسه وأنفقت عليه في طلبه العلم، وحرصت على أن تكون أول خطواته في هذا الطريق حفظ كتاب الله تعالى واستيعاب معانيه، واهتمت بالرحلة مدركة لعظيم فوائدها حتى رافقته بنفسها لتكون موجهة ومرشدة له عن كثب، منتقية له من الشيوخ من تراه الأصلح على التأديب والعلم، مستشعرة في كل ذلك حجم الأمانة محافظة على كرامة أصله بتربية تليق بتلك الكرامة، بدافع من فطرة الأمومة مبرزة لنا وجهاً جديداً لما يمكن أن تقوم به الأم وإن علت.

---

[1] فاطمة، محجوب، الموسوعة الإسلامية، ج٢ ص١٨٨ .

٢- الإمام نجم الدين محمد الغزي:

١- اسمه ونسبه:

محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن مفرج بن بدري ... قرشي عامري يتصل بنسبه بعامر بن لؤي، رحل أحد أجداده من غزة إلى دمشق فعرف بالغزي.[١]

٢- مولده ونشأته:

ولد يوم الأربعاء حادي عشر شعبان، سنة سبع وسبعين وتسعمائة وسط النهار وقت الظهيرة، نشأ في حجر والده وتحت رعايته يحثه على طلب العلم والعبادة حتى بلغ السابعة فلما توفي أبوه كفلته أمه فأحسنت رعايته كما سنرى.[٢]

٣- وفاته:

يوم الأربعاء الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وألف عن ثلاث وثمانية سنة وعشرة أشهر ودفن بمقبرة أرسلان في الشام.[٣]

٤- مكانته العلمية:

شيوخه: قرأ الأجرومية على الشيخ العلامة زين الدين عمر بن سلطان مفتي الحنفية وعلى الشيخ شهاب الدين العيشاوي قرأ شرح المنهاج، ولزم الشيخ محمد محب الدين القاضي الحنفي، وتتلمذ على يدي الشيخ محمد بن محمد بن حسن السعودي وأجازه من المصريين الشيخ شمس الدين الرملي وزين العابدين البكري.[٤]

علمه: جلس تحت قبة النسر في الجامع الأموي سبع وعشرين سنة، وانتفع الناس به وأخذوا عنه طبقة بعد طبقة (وهم في الكثرة لا يحوم الإحصاء حولهم)[٥].

ومن مصنفاته[٦]:

١- الحلة البهية (نظم الأجرومية).

٢- شرح القطر لابن هشام.

٣- شرح القواعد لابن هشام.

---

[١] المحبي، خلاصة الأثر، ج٤ ص١٨٩ .

[٢] المرجع السابق، ج٤ ص١٩٠ .

[٣] المرجع السابق، ج٤ ص٢٠٠ .

[٤] المرجع السابق، ج٤ ص١٩١ .

[٥] المرجع السابق، ج٤ ص١٩٩ .

[٦] مقدمة الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ص: س و ع .

٤- منظومة في النحو (مئة بيت).

٥- منظومة في التصريف والخط (مئة بيت).

٦- البهجة (مختصر في النحو).

دور والدة الإمام نجم الدين الغزي في إعداده:

وأرى هنا ضرورة إيراد كلامه بنصه عما أخبر به عن والدته إذ قال (ثمّ ربيت بعد وفاته في حجر والدتي أنا وأخوتي فأحسنت تربيتنا ووفرت حرمتنا وعلمتنا الصلوات والآداب وحرصت على تعليمنا القرآن وجازت شيوخنا على ذلك وكافأتهم وقامت في كفالتنا بما هو فوق ما تقوم به الرجال مترملة علينا راغبة من الله سبحانه في حسن الثواب والنوال وجزيل الحظ من قوله ﷺ أنا أولى من يفتح باب الجنة إلا أني أرى امرأة تبادرني فأقول لها مالك ومن أنتِ فتقول أنا امرأة قعدت على أيتام لي... فجزاها الله عنّا حسن الجزاء ... وكانت معيشتنا من ربح وقف جدنا وملك أبينا وميراثه الذي تلقيناه عنه، أحسنت والدتنا التصرف في أموالنا وفي مؤننا وكسوتنا ولم تحملنا منة أحد قط، وتقول هو ببركة والدهم ثم إنها أعزها الله ومدّ في أجلها أشغلتنا بقراءة القرآن وطلب العلم ...)[1].

ونقف من خلال ما تقدم على الأمور التي قدمتها والدته في إعدادها وهي:

- حبسها لنفسها وترملها على عيالها معرضة عن الزواج أو الانشغال عنهم مخلصة النية لله تعالى حتى بارك في جهدها وتربيتها.

- حفظ كرامة عيالها وعدم تحميلهم منة أحد، محافظة على عزة أنفسهم.

- المحافظة على عبادتهم وخاصة الصلاة ومراقبتهم فيها، والعناية البالغة بحفظ القرآن مستخدمة أسلوب مكافأة الشيوخ من باب حثهم على العناية الزائدة بأبنائها.

- حسن التدبير والإدارة والتعرض في النفقة حتى تؤمن لهم الحاجات الأساسية ولا تحوجهم لأحد .

-صرفهم عن اللهو والعبث بإشغالهم بما يعود عليهم بنفع الدنيا والآخرة قراءة القرآن وطلب العلم.

---

(1) المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج٤ ص١٩٠-١٩١.

ويصف جهدها في تحقيق ذلك كله بأنه فوق ما يقوم به الرجال ، فكـــانت بذلـــك صاحبة الدور الأكبر في التوجيه والتربية، وفي سلوك أبنائها ومنهم نجم الديـــن الغـــزي طريق العلم مقتدياً في توجيه النية في ذلك، فكان مما كافأ أمه وبرها به على حسن تربيتها أن حافظ على ثمرة تلك التربية فحقق رجاءها فيه.

٣- الشيخ بدر الدين الحسني:

١- اسمه ونسبه:

محمد بن يوسف بن عبدالرحمن بن عبدالوهاب بن عبداالله بن عبدالملك بن عبدالغني المغربي المراكشي البيباني، أصله من مراكش من ذرية الشيخ الجزولي صاحب دلائل الخيرات، انتقل أحد أسلافه إلى الديار المصرية فولد فيها أبوه بقرية بيبان (من البحيرة)، ثمّ أقام في دمشق واشتهر بالمغربي[١].

٢- **ولادته**[٢]: ولد في دمشق عام هـ-١٨٥١م .

٣- **وفاته**[٣]: وكانت وفاته أيضاً في دمشق عام ١٣٤٥هـ-١٩٣٥م.

٤- **مكانته العلمية**[٤]: حفظ الصحيحين غيباً بأسانيدهما ونحو ألف بيت من فنون العلوم المختلفة وانقطع للعبادة والتدريس، ارتفعت مكانته عند الحكام وأهل الشام حتى عرضوا عليه البيعة بالخلافة فرفض.

٥- **مصنفاته**[٥]: يقول من قرأوا عليه مدة طويلة إنه ألف نحو "أربعين" كتاباً، قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره – ويذكر السيد محمد سعيد حمزاوي نقيب الأشراف في دمشق عدة تآليف الشيخ بدر الدين أغلبها مفقود منها، "شرح البخاري" و"شرح الشمائل" و"شرح الشفا" و"حاشية عقائد النسفي" و"شرح نظم السنوسية" و"شرح مغني اللبيب" ومن كتبه المطبوعة شرح قصيدة "غرامي صحيح" في مصطلح الحديث وله مخطوط في خزانة الرباط سماها "الدرر البهية في شرح المنظومة البيقونية".

٦- **دوره في الإصلاح والجهاد:** لما قامت الثورة على الاحتلال الفرنسي في سورية كان يطوف المدن السورية حاثاً على الجهاد ويقابل الثائرين ينصحهم بالخطط الحكيمة فكان أباً روحياً للثورة والجهاد في سورية[٦].

---

[١] المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج٧ ص١٥٧ .

[٢] المرجع السابق.

[٣] المرجع السابق.

[٤] الزركلي، الأعلام، ج٧ ص١٥٨ .

[٥] المرجع السابق.

[٦] المرجع السابق.

دور أم الشيخ محمد بدر الدين الحسني:

أما والدة الشيخ محمد فهي سيدة فاضلة من أعرق أسر دمشق بالعلم والفضل والحديث والمكرمات، أسرة الكزبري، وكان لهذا أثره في الصفات الموروثة للشيخ محمد، كما عرفت والدته بشدة الورع والتقى[1].

ويتبين لنا مدى تأثيرها في تربيته إذا ما عرفنا بأنها كفلت الشيخ بعد وفاة والده، وكان حينئذٍ ابن إحدى عشر سنة.[2]

وكان محمد عظيم الثقة بها يطلعها على مكنونات صدره ويحدثها بما يجول في خاصره، ملتمساً في كلماتها ونصائحها علامات الطريق القويم ولم تقتصر على ذلك بل كانت تأخذ بيده واضعةً إياه على الطريق.

ومن ذلك أنه لما قصّ عليها ما يراوده من أحاسيس وأفكار في خلواته أثناء المطالعة والدرس في مكتبة المرحوم والده، أدركت بأن ولدها بحاجة إلى من يشرف عليه في طلب العلم بشكل منظم وبمتابعة حثيثة، مستشعرة رغبته العميقة في طلب العلم، فأخذت بيده وصحبته حتى أوصلته إلى المدرسة القلقيجية بدمشق واختارت له الشيخ أبا الخير الخطيب فسلمته إليه مؤتمنة إياه على فلذة كبدها، فبدأ معه بحفظ القرآن الكريم حتى أتمه بتشجيع وحث من أمه، ثمّ حفظ بعد ذلك فنون العلوم على اختلافها[3].

لقد صرفت هذه الأم اهتمامها بعد وفاة زوجها نحو رعاية أبنائها، حاثة إياهم على تتبع خطوات والدهم السيد يوسف المغربي الحسني معمقة ميله نحو طلب العلم، مشعرة إياه بأنها قريبة منه، مبدية استعدادها لتقديم المساعدة على تحقيق ما يصبو إليه من آمال وطموحات.

وزيادة في الحرص لا تقتصر على مجرد نصيحته بالتوجه إلى المدرسة القليقيجية أو أن توكل أحداً بهذه المهمة، بل تضع يده بيدها قابضةً عليها حتى توصله بنفسها إلى المدرسة منتقية له خير من وجدت من الشيوخ فلا تنزع يده من يدها حتى تضعها في يد الشيخ مستشعرة عظم الأمانة، وتستمر بعد ذلك بمراقبته وهو يعتلي درجات العلم درجة تلو أخرى، ليتكامل رجاؤها فيه.

---

[1] محمد صالح الفرفور، الشيخ محمد بدر الدين الحسني، ص٢٧ .

[2] المرجع السابق.

[3] الزركلي، الأعلام، ص٣٣ .

بهذه التربية استطاعت صياغة شخصيته ومن خلال الملاحظة والنصيحة والمتابعة والتصميم ، فضلاً عما اقتبسه من صفاتها وهو يراها أمامه تتمثل فيها صفات التقى والزهد والورع والعبادة مضفية على تلك البيئة الصغيرة - البيت - جواً من العفـــاف والطـــهر والاخلاص.

٤- الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – :

١- اسمه ونسبه:

هو سيد قطب ابراهيم حسين شاذلي واختلف في أصله، أهو مصري أم هندي؟ فذهب معظمهم إلى أن أصله هندي، وأن أحد أجداده قدم من الهند إلى مكة للحج ثم استوطن قرية "موشة" في صعيد مصر[١].

٢- ولادته:

ولد في قرية "موشة" إحدى قرى محافظة أسيوط في الصعيد، وكانت ولادته في سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٦.[٢]

٣- نشأته:

نشأ في تلك القرية التي لم يغادرها إلا شاباً، وكان لقريته تأثير واضح على شخصيته[٣]. وكان لأسرته مكانة مرموقة في تلك القرية فشبّ في بيئة جمعت ما بين الوجاهة الريفية والرقي العلمي[٤].

٤- وفاته:

في فجر يوم الاثنين ١٩٦٦/٨/٢٩ الموافق ١٣ جمادى الأولى عام ١٣٨٦هـ حيث تمّ تنفيذ حكم الاعدام فيه من قِبل جمال عبدالناصر رئيس جمهورية مصر في ذلك الوقت.

٥- دراسته:

تخرج من مدرسة القرية في السنة الثانية عشرة من عمره وكان قد أتمّ حفظ القرآن الكريم، ثمّ توجه للدراسة في القاهرة بعد عامين، التحق بمدرسة المعلمين الأولية عام ١٩٢٥ وفي عام ١٩٢٨ التحق في تجهيزية دار العلوم، ثم التحق بدار العلوم وتخرج منها عام ١٩٣٣ حاصلاً على شهادة الليسانس في الآداب مع دبلوم في التربية[٥].

---

[١] صلاح الخالدي، سيد قطب، ص٥١ .

[٢] المرجع السابق.

[٣] انظر: سيد قطب ، طفل من القرية، ص١٨٢ .

[٤] صلاح الخالدي، سيد قطب، ص٥٢ .

[٥] المرجع السابق، ص٨٨-٩٢ .

٦- **وظائفه**[1]:

عمل بعد تخرجه في وزارة المعارف مدرساً، ثم انتقل موظفاً في الوزارة مراقباً للثقافة العامة، بعدها أوفدته الوزارة إلى أمريكا وعاد ليعمل مع المستشار الفني للوزارة، ثم بعد ذلك محاضراً في كلية دار العلوم إضافة إلى ما عُرف به من كتاباته الأدبية في الصحف والمجلات وما أصدره من ذلك .

٧- **تراثه الأدبي والفكري**[2]:

وله تراث فكري ضخم ومتنوع نذكر منه:

- في ظلال القرآن: ويُعد هذا التفسير موسوعة اشتملت على دراسات وبحوث إسلامية عميقة[2] هدف من خلاله إلى إعادة القرآن الكريم حياً في النفوس.
- مشاهد القيامة في القرآن.
- الإسلام ومشكلات الحضارة.
- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته.
- هذا الدين.
- السلام العالمي والإسلام.
- معالم في الطريق.
- نحو مجتمع إسلامي .
- المستقبل لهذا الدين.
- العدالة الاجتماعية في الإسلام.

هذا فضلاً عن مصنفاته في مجال الأدب والشعر.

وتدل مصنفاته على فكره الإصلاحي ومنهجه في التغيير.

دور أم سيد قطب في إعداده:

أما دور هذه الأم الفريدة فنستوحيه بداية من مكانة هذه المرأة فهي من أسرة عريقة جمعت بين الجاه والعلم، تلقى اخوتها دراستهم في الأزهر، ومنهم أحمد حسين الموشي الذي ترك أثراً على سيد قطب[3].

---

[1] صلاح الخالدي، سيد قطب، ص٩٤-٩٨.

[2] علي عبدالفتاح، سيد قطب، ص٢١.

[2] صلاح الخالدي، سيد قطب، ص٢١٥ .

[3] محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج٢ ص٢٧٧ .

وأبرز صفات هذه المرأة الصلاح والعبادة، وحب العمل لله وهذا ما أخبر به سيد قطب، حيث وصف حالها وهي جالسة تستمع إلى القراء يرتلون القرآن في شهر رمضان أو وهي جالسة أمام المذياع تستمع إلى الترتيل[١].

وكما كانت محبة لسماع القرآن فكذا كانت محبة لأعمال الخير متصفة بالجود والكرم وكثرة الصدقة في سبيل الله، تُعد الطعام بنفسها للقراء الذين يقرأون القرآن في المنزل وللعمال في الحقول محتسبة أجر عملها ذلك عند الله تعالى[٢].

ولقد ترك اهتمام الأم بالفقراء أثراً واضحاً في نفس سيد فنشأ مرهف الحس دقيق الشعور، شديد الحنو على الفقراء والمعذبين، ينهك فكره في طرق خلاص هؤلاء من ضعفهم وفقرهم.

ويصور لنا سيد قطب دور أمه في غرس معاني العظمة في نفسه في رثائها فيقول (... كنتِ تصورينني لنفسي كأنما أنا نسيج فريد، منذ ما كنتِ في المهد صبياً، وكنت تحدثيني عن آمالك التي شهد مولدها مولدي، فينسرب في خاطري أنني عظيم، وأنني مطالب بتكاليف هذه العظمة، التي هي من نسيج خيالك، ووحي جنانك، فمن ذا يوسوس إلى بعد اليوم بهذه الخيالات الساحرة، ومن ذا يوحي إلى بعد اليوم بتلك الحوافز القاهرة)[٣].

قبل تمام الوعي والإدراك تصحبه معها لسماع القرآن، موحية إليه بالإشارة الحازمة إلى ضرورة الإنصات وعدم اللغو كالأطفال[٤]، فينصت لتشرب روحه معاني القرآن التي فاضت بياناً رائعاً على لسانه في "ظلال القرآن" وسلوك الأم هذا هو ما دفع سيد إلى الاهتمام بالقرآن منذ صغره فيقول "لقد قرأت القرآن وأنا طفل صغير، لا ترقى مداركي إلى آفاق معانيه ولا يحيط فهمي لجليل أغراضه، ولكنني أجد في نفسي منه شيئاً". وتوحي إليه بين الحين والآخر بأنه ليس كآحاد الناس فهو في عينيها عظيم وكذا ينبغي أن يكون في أعين الآخرين.

---

[١] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، ص٥ .

[٢] سيد قطب، طفل من القرية، ص١٩٢ .

[٣] سيد قطب، الأطياف الأربعة، ص١٦٧.

[٤] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص٥ .

لقد أدركت تلك الأم نقطة البدء في صياغة الشخصية، غرس الثقة فـــي النفـس، ومنها بدأت فجعلته يهرب من كل مظاهر الطفولة ويعزو سيد سبب ذلك إلى (الكبرياء التي أودعتنيها منذ الطفولة)[1].

وفي التربية الخلقية السلوكية يذكر سيد بأنه لم يكن يُسمح له باللعب في الشـــوارع والطرقات كباقي الأطفال، لتبقى ملابسه نظيفة، وحتى لا تتلوث أخلاقـــه بــأخلاق أولاد القرية وألفاظهم البذيئة.[2]

فتكامل دور الأم في رعاية المظهر والجوهر لتصنع منه شخصية فذة في كل شيء فكانت توجيهاتها كما وصفها سيد قطب حوافز قاهرة.

---

[1] سيد قطب، الأطياف الأربعة، ص١٦٦ .

[2] سيد قطب، طفل من القرية، ص٢٨ .

٥- الشيخ أبو الحسن الندوي:

١- اسمه ونسبه:

هو علي أبو الحسن الندوي ابن العلامة الشريف عبدالحي الحسني، من أسرة عربية عريقة تعيش في الهند منذ قرون وأول من هاجر من هذه الأسرة الشيخ السيد قطب الدين ابن محمد المدني عام ٦٠٧هـ.

وكانت أم هذا الشيخ بنت الإمام الشيخ عبدالقادر الجيلاني ويصل نسبه من الطرفين إلى السيد عبدالله المحض بن السيد الحسن المثنى ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١].

٢- مولده:

ولد في قرية (تكية) من مديرية درائي بريلي من الولاية الشمالية بالهند، وذلك في المحرم من عام ١٣٣٢هـ[٢].

٣- نشأته:

نشأ في أسرة عُرفت بالتزام السنة والوقوف بوجه البدعة وقد شارك رجالها في الجهاد وهذا ما جعله ينصرف إلى خدمة الإسلام والاهتمام بأمور المسلمين[٣].

٤- دراسته العلمية:

تلقى تعليمه الأول في العربية من الشيخ خليل محمد اليماني وأتم دراسته الأدبية على الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، ثم تعلم في دار العلوم وجامعة لكهنؤ، بتفوق ممتاز، والتحق بمدرسة الشيخ أحمد علي في لاهور حيث تخرج عليه في علم التفسير، ونال الإجازة من الشيخ حيدر حسن خان، ومن الشيخ عبدالرحمن المباركفوري صاحب (تحفة الأحوذي)[٤].

---

[١] محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ص١٣٥.

[٢] المرجع السابق.

[٣] المرجع السابق.

[٤] محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ص١٣٦.

٥- من أعماله:

شارك في عضوية المجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية بالمدينة، ويرأس المجلس التعليمي لولاية (أتربردلش)، وهو عضو في المجلس التنفيذي لدار المصنفين في (أعظم كرة) بالهند. وأحد رؤساء التحرير لمجلة (معارف)[١].

٦- مؤلفاته[٢]: كثير وأشهرها:

- مختارات في الأدب العربي، -القراءة الراشدة-، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية:
- ربانية لا رهبانية .
- المسلمون وقضية فلسطين.
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.
- السيرة النبوية.
- نحو التربية الإسلامية الحرة في البلاد الإسلامية .
- النبي الخاتم.
- الطريق إلى المدينة.

هذا بالإضافة إلى مؤلفاته باللغة الأردية.

دور والدة أبي الحسن الندوي في إعداده:

وهنا نقف مع نموذج قلّ نظيره يبرز لنا دور الأم المتكامل بجوانبه المتعددة ونعرف بها على لسان ولدها الذي قال عنها (كانت رحمها - الله تعالى- من السيدات الفاضلات، وتكتب وتؤلف وتقول الشعر، وكان من أعظم ما أكرمها الله به حسن الصلاة والغرام بالدعاء والابتهال ... والإيمان القوي بوعود الله تعالى وأخباره، وإيثار الدين على الدنيا في ما يتصل بأولادها وبمستقبلهم، وحسن التربية)[٣].

فكان هذا النموذج هو ما يراه الندوي صباح مساء فتركت أثراً طبيعياً على شخصية، خاصة أنه فقد والده وعمره تسع سنين إلا شهور[٤].

---

[١] محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ص١٤٤ .

[٢] المرجع السابق، ص١٤٤-١٤٥.

[٣] أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ص٤١ .

[٤] أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ص٦٩ .

وبهذا تفردت الأم في جوانب كثيرة من تربية الندوي كما أخبر بقوله: (لقد كانت والدتي –لعدم وجود الرجال في البيت– هي المسؤولة الأولى عن مراقبتي وتقدمي وتربيتي الدينية ..)[1].

ولقد بدأت تراقبه منذ صغره فلاحظت أن أقرانه يفوقونه في مناحي كثيرة منها الذكاء والاستيعاب، فهرعت إلى الدعاء الذي عُرفت بصدقه تدعو الله تعالى من أجل صلاحه وتحصيله للعلم، وقبوله عند الله وعند الناس ونجاحه في كل الأمور الخاصة والعامة. فصارت تلك الأدعية وردها اليومي[2] حتى استجاب الله تعالى دعاءها، وعن أثر تلك الأدعية عليه يقول الندوي: (والواقع كما اعتقد أن ما قدّر الله لي من الخير، وما أتاني به من الفضل والزلفى لدى عباد الله الصالحين، وما منحني من عطفهم وأدعيتهم كل ذلك يرجع إلى تلك الأدعية المضطرة التي كانت تدعو بها والدتي)[3].

وأما ما أشار إليه من تربية دينية فكانت من خلال أمورٍ عدة منها: [4]

– تحفيظه لسور القرآن الكريم منذ صغره وأمره بتلاوتها خاصة بعد صلاة الفجر.

– مراقبة أدائه للصلوات، وهو الأمر الذي لم تكن تسمح بالتهاون فيه أبداً فإذا نام قبل صلاة العشاء توقظه وتأمره بالصلاة، وكذا تفعل عند صلاة الفجر وتلزمه بالذهاب إلى المسجد يومياً. هذا مع ما عرفت به من رقة القلب وشدة الشفقة حتى ضرب بها المثل في ذلك، إلا أنها تغلب العقل على العاطفة العمياء، مدركة أن تربيته لن تستقيم إلا من خلال هذا الأمر .

– نصيحة الأم للندوي بابتداء أموره جميعها بذكر الله وخاصة الكتابة معلمة إياه دعاءً خاصاً يفتتح به كتاباته هو (بسم الله الرحمن الرحيم اللهم آتني بفضلك أفضل ما تُؤتي عبادك الصالحين)[5].

دعاءٌ يدل على منتهى الخضوع وغاية التوكل على الله تعالى في تقدير الخير وتيسيره وبهذا وجهته إلى ضرورة الإخلاص وتوجيه النية وحسن التفويض والدعاء الدائم فهو سر قبول الأعمال والبركة فيها.

---

(1) أبو الحسن الندوي في مسيرة الحياة، ص٧٢ .

(2) المرجع السابق، ص٧٥ .

(3) المرجع السابق.

(4) انظر: أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ص٧٢ .

(5) المرجع السابق، ص٧٥.

أما تربيته الخلقية والاجتماعية فيحدثنا بنفسه عن الأمر الآخر الذي لا تتساهل بـــه أبداً غير الصلاة فيقول (والأمر الثاني الذي لم تكن ترعى فيه شيئاً ولم يكن يحول دونه أي حب أو شفقة، هو أنه إذا تعديتُ مثلاً على أبناء الخادم أو الخادمة أو أي طفل من أطفـــال الفقراء والمساكين أو عاملته بالعجب أو الكبر أو احتقرته، عاقبتني على ذلك وأمرتني بأن أطلب منه العفو، وأتصاغر أمامه مهما شعرتُ في ذلك بإهانة أو جرح كرامة)[١].

لقد حرصت على غرس معاني الخير كحب الآخرين والتواضع لهم فـــي نفســه، وطهرته من أمراض النفوس كالعجب والكبر التي تقتل كل معاني الفضيلة، معالجة تلـــك الأدواء بأسلوب رادع يقتلع جذور تلك الأدواء إلى الأبد، مستخدمة في ذلك الضد، وهذا ما ترك أثراً سريعاً دائماً جعله يعدُ الكبر والعجب كبيرة من الكبائر، فبهذا الأســلوب وهــذه العقوبة وطنته أمه على الاعتراف بالخطأ والإقرار به مهما تعاظم عليه ذلك[٢].

لقد استطاعت أمه ومن خلال ضبط العواطف في المواقف التي تتطلب ذلك مـــن معالجة نقاط الضعف في ولدها، ومن خلال ذلك الجو الذي نشأ وتربى به الندوي، يصــدر نصيحته التربوية إلى المربين والمربيات الذين يشرفون على التنشئة الدينية والاجتماعيـــة للأطفال، والذين يحرصون على وضعهم على طريق الدعوة وخدمـــة الديـــن بضـــرورة مراعاة أمرين (أولهما: أن يُجنبوا من الظلم والتعدي وكسر القلوب ... والثاني: أن يكـــون طعامهم حلالاً بعيداً كل البعد عن مال الغصب والمال الحرام والأموال المريبة)[٣].

وفي ذلك إشارة إلى حرص والدته على إبعاده عن كل ما فيه شبهة، وعلى إطعامه من المال الحلال الخالص، ولعل ذلك ما يقف وراء ما عُرفت به تلك الأم من قبول الدعاء، قال ﷺ "أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلى طيباً ... ثم ذكرِ الرجل يطيل السفر، أشــعث أغبر، يُمدّ يديه إلى السماء يا رب يا رب ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك؟"[٤].

ومما اكتسبه الندوي من أمه من خلال ما رأت عيناه، أخلاق القناعة والصبر وعزة النفس فقد كانت أمها ترسل الخادمة إليها لتنظر ماذا يُطبخ في بيتها، فإذا ما رأت الخادمـــة رفعت قدراً يغلي على النار لإيهامها بأنها تطبخ الطعام وليس في القدر إلا المـــاء يغلـــي،

---

[١] انظر: أبو الحسن الندوي، في سيرة الحياة، ص٧٢ .

[٢] انظر: أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ص٧٢ .

[٣] المرجع السابق، ص٧٣ .

[٤] مسلم، صحيح مسلم، ج٢ كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث ١٠١٥.

تقوم بذلك صيانة لحق بيتها وزوجها وحفظا لكرامته، والطفل ينظر ويسمع فتنغرس في نفسه معاني التقدير والإجلال لتلك الأم الرائعة التي عاشت حياة الترف في بيت أهلها ثم صبرت على شظف العيش في بيت الزوجية، صارمة طاقتها واهتمامها نحو رعاية الأبناء وحسن تربيتهم، موجهة النية لله تقصد رضاه سبحانه.

وهكذا علمنا أن الأمهات يستطعن اذا اردن بناء الأمة أن يسهمن في ذلك من خلال تربية عالم متمرس يعيش للحق ويدافع عنه. ولنا فيما ذكرنا عبرة ماثلة يستطيع كل واحد منا أن يتمثلها إن هو أراد ووفقه الله عز وجل لذلك.

الفصل الثالث

الأبعاد البنائية في إعداد العلماء المسلمين

الفصل الثالث

الأبعاد البنائية في إعداد العلماء المسلمين

تعريف الأبعاد البنائية: هي الركائز الأساسية التي تستند إليها تربية الشخصية المسلمة والتي تعد من العوامل الأساسية لمنطلقات السلوك الإنساني.

يهدف هذا الفصل إلى التعرف على دور الأم في بناء شخصية العالم، بأبعادها المختلفة وسيتم تحديد ذلك من خلال الأبعاد الآتية وهي:-

١- البعد الإيماني.

٢- البعد الأخلاقي .

٣- البعد العقلي.

٤- البعد النفسي .

٥- البعد البدني (الرعاية الصحية).

٦- البعد الاجتماعي.

وسيلحظ القارئ أنه لا يمكن الفصل بين الأبعاد الستة، إذ أن هناك تداخلاً طبيعياً بينها، فمنها ما هو قاعدة لبقية الأبعاد وهو البعد الإيماني ، ومنها ما هو انعكاس للأبعاد المختلفة كالبعد الاجتماعي.

وقبل البدء في تناول هذه الأبعاد لا بد من الإشارة إلى مسألتين :

الأولى: المؤشرات التي أسهمت في بناء شخصيات العلماء متعددة ولا يمكن إرجاع الفضل كله للأم، فلن أدعي أن هذه الأبعاد الستة تحققت بجهود الأم منفردة، إلا أن دور الأم يبقى دوراً بارزاً وأساسياً لسببين؛ أولهما أن هذه الأبعاد إنما تعود إلى نوعية التربية التي تلقاها العلماء في المرحلة الأولى من حياتهم مرحلة التنشئة الأسرية، وهي المرحلة التي يكون للوالدين الدور الأكبر والأساسي في صياغة وبلورة شخصية الطفل فيها، فإذا ما أضفنا إلى ذلك السبب الآخر وهو أن من تعرضنا لذكرهم من العلماء نشأوا أيتاماً أو بحكم الأيتام أو أن أمهاتهم كُنّ يحملنّ من الصفات ما أضفى على وجودهن وتوجيهاتهن اعتباراً مهماً قوياً، كأن كُنّ من العالمات أو صاحبات الشخصيات القوية والرأي السديد. فإذا ما تقرر لدينا ذلك استطعنا أن ننطلق من هنا لنعزز القول بأنه كان لأمهات العلماء دورٌ كبيرٌ لا يستهان به في صياغة شخصيات العلماء وبنائها.

والثانية: أن ما قدمته الأمهات من مجهودات تربوية، وما غرسنه من معانٍ وقيم وأفكار في شخصيات العلماء يُعد انعكاساً لنوعية التربية والثقافة التي تلقتها الأم في بيئتها الأولية، وأعني بذلك مرحلة ما قبل الزواج، وهو أمرٌ ملحوظ فيما عرضناه وفيما سنشير إليه من نماذج، إذ جاءت أمهات العلماء من بيئات علمية متفاوتة فإما أن تكون الأم ذاتها عالمة، أو أنها إبنة عالمٍ أو أخت العلماء وأذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر أن أم أبي جعفر الطحاوي هي أخت المزني صاحب الشافعي بل أنها هي من تلميذات الشافعي .

وأم المقريزي هي ابنة الفقيه ابن الصائغ الحنفي[٢]، وأم الندوي من المؤلفات والشاعرات حافظة للقرآن الكريم[٣]، وأم الشيخ الحسني من أعرق أسر دمشق بالعلم والحديث[٤].

ونخلص من ذلك إلى أن قيمة العلم ومكانته مغروسة في أعماقهن لذلك كانت تنظر كل واحدة منهن إلى ولدها على أنه امتداد لتلك التربية والبيئة التي جاءت منها، تدفعهن الرغبة والأمل في أن يكن صانعات علماء، مطلعات عن كثب على ما يتطلبه طريق العلم، فكانت نقطة الانطلاق في إعداد الأمهات للعلماء، الإعداد والتهيئة النفسية والاجتماعية المسبقة لتكون أماً لعالم. إذ انطلقت كل واحدة منهن في تحقيق الرجاء من خلال تربية متكاملة غطت أبعاد الشخصية الإنسانية المختلفة لتكون النتيجة صياغة وبناء شخصيات في أعلى مراتب الكمال الإنساني والنضج العقلي.

وسنقف مع تلك الأبعاد بعداً تلو الآخر محاولين حصر مجهودات الأمهات وطبيعة أدوارهن في بناء شخصية العالم من خلال ما تقدم عرضه من نماذج في الفصل الثاني وما سيتم الإشارة إليه أثناء هذا الفصل بإذن الله .

---

(١) المزني: اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل المُزَني، المصري، تلميذ الشافعي الذي قال فيه: المزني ناصر مذهبي، ت: ٢٦٤، راجع : السير ج١٢ ص٤٩٢-٤٩٥ .

(٢) ابن الصائغ الحنفي: محمد بن عبدالرحمن بن علي النحوي، درس بجامع ابن طولون للحنفية، ج٦ ص٢٤٨ وولي القضاء،من مصنفاته "شرح الألفية" و"شرح المشارق"، ت: ٧٧٦هـ ، انظر: شذرات الذهب، ج٦ص٢٤٨.

(٣) ارجع ص ٨٢ من هذه الرسالة.

(٤) ارجع ص ٧٥ من هذه الرسالة.

إن التربية في المفهوم الإسلامي هي التأثير في باطن الإنسان وظاهره في جوانبه الثلاثة الروحي والعقلي والجسمي[1]، وذلك يتم من خلال مراعاة الأبعاد الآتية:

المبحث الأول: البُعد الإيماني

البُعد الإيماني: هو أول الأبعاد التي ينبغي الالتفات إليها، وإعطاؤها حقها من الجهد والوقت باعتبار أن التربية الإيمانية هي تأسيس وقاعدة ومنطلق لبناء شخصية صلبة يرجى لها الثبات والنهوض بالمسؤوليات، فهي منبع الفضائل ومبعث الكمالات، وبدونها فالبناء هش، وسرعان ما يتداعى مهما بُذل في تدعيم جوانبه الأخرى وفي قوله عليه الصلاة والسلام: "قل آمنتُ بالله ثم استقم"[2] تأكيداً على ضرورة المنطلق الإيماني.

والمقصود بالتربية الإيمانية "ربط الولد منذ تعلقه بأصول الإيمان وتعويده منذ فهمه أركان الإسلام، وتعليمه من حين تميزه مبادئ الشريعة الغراء"[3].

وحديث رسول الله ﷺ (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ...)[4] ذو دلالة واضحة على عظمة مسؤولية الوالدين في غرس وتعميق معاني الإيمان في النفوس وهذا أمرٌ لا يمكن تجاوزه في حق علماء الإسلام خاصةً، إذ كيف سيكون علمهم مثمراً ويخدم الدين وأهدافه إذا لم يكن المنطلق إيمانياً، والنية خالصة.

من هنا وإدراكاً من قِبل أمهات العلماء لخطورة هذا البعد وأهميته، فمن بغرس الأصول الإيمانية في نفوس أبنائهن، وكانت حدود مسؤولياتهن على النحو الآتي:

١- تعليمهم تلاوة القرآن الكريم، والإنصات له، وحفظه والعمل به، ولقد ظهر هذا الاهتمام جلياً فيما عرضناه من نماذج، فمنهم من تمت الإشارة صريحة إلى دور أمه في تحفيظه القرآن الكريم، كربيعة الرأي، والبخاري، والندوي، وسيد قطب، والغزي، ومنهم من يمكن استشفاف دور أمه في ذلك من خلال معرفتنا بحفظه المبكر للقرآن الكريم وهم أغلب العلماء.

وبذلك استطاعت الأمهات ربط أبنائهن بالقرآن الكريم، روحاً ومنهاجاً وتلاوة، تارةً من خلال الحث على الإنصات للتلاوة حتى قبل سن الوعي وتمام الإدراك كما فعلت والدة سيد قطب إذ أشربته حب القرآن الكريم وتعظيمه صغيراً،

---

[1] النشمي، عجيل جاسم، معالم في التربية، ص١٧٤ .

[2] مسلم (الصحيح)، كتاب الإيمان، باب ١٣، ح٦٢، ج١، ص٦٧ .

[3] النشمي، عجيل جاسم، معالم في التربية، ص١٧٤.

[4] علوان، عبدالله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج١ ص١٤٨ .

وتارة من خلال الحرص على تعليمه تجويد القرآن وحسن تلاوته كما صنعت جدة ابن الهمام[1] وأخرى من خلال تحفيظه القرآن بإشراف ذاتي كما هو الحال مع أبي الحسن الندوي، أو من خلال إرساله إلى المشايخ لأداء هذه المهمة كمعظم العلماء.

وكان لهذا التوجيه أثره في العلماء من حيث ترسيخ الإيمان في نفوسهم، وإكسابهم فصاحة اللغة ورصانة التعبير، وشفافية الإحساس ، فضلا عن اتخاذهم لكتاب المولى سبحانه منهاج حياة.

٢- أمرهم بالعبادات وحثهم عليها ومراقبتهم فيها، لاستمرار ربطهم بالمولى سبحانه وحتى يتربوا على طاعته تعالى والقيام بحقه والشكر له والالتجاء إليه والثقة به، أثناء سيرهم في ذلك الطريق الطويل المليء بالمغريات حينا وبالمعوقات حينا آخرا.

مبتدئة بتعليمهم كيفية أدائها كما فعلت والدة الغزي، آمرة لهم بالقيام بها مع مراقبة كيفية الأداء، ومدى تحقق الخشوع، فهذه والدة الندوي تراقب أداءه كافة الصلوات خاصة صلاة الفجر مغالبة بذلك العاطفة الآنية التي تسيطر على الأم فتحول بينها وبين إيقاظ ابنها من نومه وإخراجه من فراشه الدافئ ليؤدي صلاة الفجر في المسجد، وهذه أم الأوزاعي تتفقد موضع مُصلاه لترى الخشوع!! وعبدالقادر الجيلاني تحثه والدته العابدة على تتبع آثار جده الصومعي في خشوعه وكيفية أدائه للعبادات[2].

فسمت بذلك أرواحهم، وشفت أذواقهم، وترسخ الإيمان واليقين في نفوسهم مستشعرين دوام مراقبة الله عز وجل لهم.

٣-تربية الشعور برقابة الله تعالى وضرورة الإخلاص له وحُسن التوجه إليه، ذلك أن علمهم إن خلا من النية فلا ثمار له يقول تعالى (قل إن صلاتي ونسكي

---

[1] ابن الهمام: محمد بن عبدالواحد بن عبدالحميد الكمال، كان إماماً علامة عارفاً بأصول الديانات والتفسير والفقه وأصوله والفرائض ... ت ٨٦١هـ ، وجدته مغربية فاضلة تحفظ الكثير من القرآن، انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج٨ ص١٢٧-١٣٢.

[2] عبدالقادر الجيلاني: عبدالقادر بن موسى بن عبدالله الحسني، من كبار العلماء الزهاد والمتصوفين، تصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨هـ، صاحب "الفتح الرباني" ت ٥٦١هـ ، انظر:ابن العماد شذرات الذهب ج٤ ص ١٩٨و الزركلي الأعلام، ج٤ ص٤٧ .

ومحياي ومماتي لله رب العالمين)[1]. ويقول رسوله الكريمﷺ (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)[2] من هنا انطلقت أم سفيان الثوري في نصيحتها لابنها[3] ومن وسائل ذلك تذكيره الدائم بالمولى، وحثه على بدء أموره بالتسمية والدعاء وتفويض الأمور لله جل شأنه[4]. مع دوام متابعته في ذلك.

ولما كان فاقد الشيء لا يعطيه فغنيّ عن القول بيان أثر اتصاف الأمهات بقوة الإيمان وحسن التوكل على الله تعالى وإلا لما آتت جهودهن ثمارها. فكلهن اتصفن بالورع والتقوى والفضل والعبادة وحسن الدعاء الذي هو دليل صدق إيمان كما كان من أم البخاري وأم الندوي .

لقد انفقت جهود أمهات العلماء على تحقيق هذا البعد بوسائل وأساليب متنوعة مؤداها بناء قاعدة إيمانية رصينة ينطلق منها أبناؤهن نحو طلب العلم ونفع الأمة.

المبحث الثاني: البعد الأخلاقي

وهذا البعد في التربية الإسلامية مستمد من القاعدة الإيمانية ومرتكزٌ عليها، فالفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ، والتنشئة الدينية الصحيحة، فالتربية الخلقية هي "مجموعة المبادئ الخلقية، والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقاها الطفل ويكتسبها ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعقله إلى أن يصبح مكلفاً إلى أن يتدرج شاباً إلى أن يخوض خضّم الحياة"[5].

إذاً فهذه التربية ترتكز على المبادئ والفضائل التي يتعلمها الناشئ في مرحلة الطفولة ويستمر أثرها ويظهر انعكاسها على سلوكه في بقية المراحل.

ولما كانت مهمة الأنبياء الدعوة إلى مكارم الأخلاق، إذ يقول الرسولﷺ "إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق"[6]، أصبحت هذه المهمة من مهام العلماء إذ أنهم ورثة الأنبياء،

---

[1] الآية: ١٦٢، سورة الأنعام.

[2] البخاري، الصحيح مع الفتح ج١ ص١٥، كتاب بدء الوحي، رقم (١).

[3] ارجع ص ٤٧ من هذه الرسالة.

[4] ارجع ص ٨٣ من هذه الرسالة.

[5] د. عبدالله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ج١ ص١٦٧ .

[6] البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الشهادات، ج١٠ ص٣٢٣ رقم (٢٠٧٨٢)، والإمام مالك في الموطأ بمعناه بلاغاً ، باب حسن الخلق، ص٦٩٢ رقم (١٦٧٧).

وخير وسيلة لقيامهم بهذه الوظيفة هي تمثلهم الأخلاق ليكونوا نماذج يُقتدى بهم، كما هو حال الرسولﷺ الذي وصفه ربه بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم)[1].

وقد لاحظنا كيف حرصت أمهات العلماء على تربية أبنائهن في مرحلة الطفولة المبكرة تربية إيمانية أكسبتهم ملكة فطرية واستجابة وقابلية لتقبل كل فضيلة، واعتياد كل خلق كريم، حتى أصبح ذلك عادةً من عاداتهم التي لا يرافقها التكلف أو التصنع.

وإذا كان الولد الذي يرى أمه مستهترة لا يمكن أن يتعلم الفضيلة[2] فإنّ جُلّ ما اكتسبه علماؤنا الأجلاء من أخلاق وفضائل هو بفضل ما كانت عليه أمهاتهم من خلق كريم، وذوق رفيع، وترفع عن السفاسف والدنايا، وارجع إن شئت إلى ما عرضناه من نماذج لتلحظ كيف كانت الأم في كل مثال هي القدوة لولدها فيما ينطق به أو يصدر عنه من سلوك، ونكتفي هنا بالإشارة إلى والدة المقريزي[3] وما تقدمه من نموذج يُحتذى في الدين والعفة والصيانة والعقل والصبر على الابتلاء[4] فكانت بذلك قدوة لولدها الذي اشتهر بحسن الخلق والتواضع والمداومة على التهجد وحسن الصلاة.

ولم تقتصر أمهات علمائنا على مجرد تمثل الأخلاق أمام أبنائهن وإنما اتبعن في سبيل غرس الفضائل كل وسيلة متاحة وممكنة إما عن طريق إشغال الفراغ وتفريغ الطاقات في العمل الهادف المثمر من عبادة وطلب للعلم حتى لا يضيع وقته ويبدد طاقته وينحرف بها عن نهجها الأصيل وهذا منهج قامت كافة أمهات العلماء باتباعه. وإما بصرف نظره نحو قدوة ومثل أعلى يحتذيه كتذكيره بسيرة والده إن كان من العلماء الصالحين ، أوالى شيخ بعينه كما أوصت والدة الإمام مالك[5].

وقد يكون بالحديث عن مآثر العرب وأخلاق المسلمين وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم ترغيباً له في تمثل أخلاقهم وتقليدهم في مآثرهم وهذا ما قامت به والدة أحمد بن حنبل.

---

(1) سورة القلم ، الآية ٤ .

(2) انظر: محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ص٢٢٩ .

(3) أحمد بن علي بن عبدالقادر الحسني العبيدي القاهري، صاحب "العقود الفريدة" و"امتاع الأسماع" ت ٨٤٥هـ، وأمه: أسماء بنت محمد بن الصائغ من أفضل نساء زمانها ديناً وعفة وصيانة وعقلاً: (العقود الفريدة للمقريزي) د. محمد كمال الدين عزالدين ج١/٩/٤، راجع الضوء اللامع ج٢، ص٢١-٢٥ .

(4) د. محمد كمال الدين عز الدين، العقود الفريدة للمقريزي، ج١ ص٤٧٩ .

(5) ارجع ص ٥٣ من هذه الرسالة.

ومن الأمهات من كانت تحرص على غرس قيمة بعينها في نفس ولدها وتعظيم هذه القيمة كوالدة الجيلاني التي أوصته قبل سفره بالصدق قائلة (يا بني إياك أن تكذب فإن المؤمن لا يكذب، يا بني كن صادقاً أبداً)، فكان لهذه الوصية أثرها في توبة قطاع الطريق كما يروى[1].

ومنهن من كانت تنأى بولدها عن المؤثرات السلبية، والبيئة الفاسدة، والخلطة السيئة، خوفاً من أن يكون ذلك سبباً في عدوى ولدها بالأخلاق المبتذلة، أو اعتياد لسانه الكلمات البذيئة أو الشتائم والسب[2]. فلا تسمح له بمخالطة قرناء السوء وتحرص على انتقاء صحبته لما لصحبته من أثر بالغ في المكتسبات الخلقية والتأثر بالطباع. وهذه أم الإمام مالك تبتعد بولدها عن مظاهر الميوعة ومسببات الانحلال بأسلوب لبق مؤثر[3].

ولجأت بعضهن إلى نزع مظاهر قسوة المشاعر، فكانت والدة أبي الحسين الندوي تعاقبه أشد العقوبة إذا ما ظهر منه ما ينم عن الكبر أو العجب بنفسه أو الاستهانة بغيره[4].

هكذا تربى علماؤنا، وعلى هذه الأخلاق نشأوا، كانوا كلما ازدادوا علماً ازدادوا أدباً، وقد نبهت أم سفيان الثوري إلى أن العلم ثمرته زيادة الخير في السلوك[5].

فكانت أخلاقهم سفيراً إلى قلوب الناس، لقد خاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)[6] ؛ ولقد كان خلقه القرآن[7]، القرآن الذي حرصت أمهات العلماء على تحفيظه لأبنائهن وحثهم على العمل به فكانوا بذلك علماء مصلحين وقادة فكر، ومحل ثقة وقبول وتقدير من الأمة.

---

(1) د. عبدالرزاق الكيلاني، الشيخ عبدالقادر الجيلاني، ص٩٦ .

(2) راجع دور أم سيد قطب في إعداده، ص ٧٨ .

(3) ارجع ص ٥٢ من هذه الرسالة.

(4) ارجع ص ٨٤ من هذه الرسالة.

(5) ارجع ص ٤٧ من هذه الرسالة.

(6) سورة آل عمران، الآية ١٥٩ .

(7) مسلم (الصحيح) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جامع مع صلاة الليل ج١ ص٤٣١ ح(١٣٩).

المبحث الثالث: البعد العقلي (أو الفكري):

وهذا البُعد أساسي في حديثنا عن العلماء، إذ إنه الجانب الذي نبغ فيه من اخترنا الحديث عن دور أمهاتهم في إعدادهم، وربما كان هذا الجانب هو أكثر ما يميز مجهودات أمهات العلماء عن غيرهن من الأمهات حتى الصالحات والخيرات منهن وقد تقدم التعريف بالتربية العقلية[1].

وتعدّ هذه المهمة من أعلى مراتب المسؤولية التربوية، إذ أنها توعية وتثقيف وتعليم وهذا ما يتطلب بالضرورة أن تكون الأم المسؤولة من صاحبات العقل الراجح، والفكر النير، متصفة بصلابة الإرادة واتساع الأفق، فهي إنما تختار لولدها مهمة شاقة تتطلب الكثير من الوقت والجهد، مما يضطرها إلى طول ملازمتها لولدها وصبرها عليه للانتقال به من مرحلة إلى أخرى حتى يصل إلى الغاية المرجوة، وقد رأينا كيف أن هذه الصفات بأغلبها موجودة في أمهات علمائنا.

والإسلام يولي العقل عنايته البالغة إذ أنه يُعد من أبرز مظاهر تكريم الإنسان، ومن أكثر ما يقرب صاحبه إلى المولى ويزيده من خشيته، يقول تعالى: "إنما يخشى الله من عباده العلماءُ"[2]. ومن مظاهر عنايته بالعقل أنه عمل على تربيته من خلال ترشيده ورعايته وتقويمه وتحديد نطاق تفكيره ومساره[3] بما ينسجم مع تصورات الإسلام ومكانة العقل فيه.

فكيف وصلت أمهات العلماء بهم إلى ما وصلوا إليه من الثقافة والعلم والمحاكمة المتزنة، والإدراك الناضج الصحيح، وكيف عملن على إظهار معالم النبوغ والتفوق الفكري فيهم؟

لقد اتبعن في سبيل تحقيق ذلك وسائل متعددة تدور حول مرتكزات الواجب التعليمي والتوعية الفكرية والصحة العقلية.

ومن ذلك أنهن قمن بتوجيه أبنائهن نحو طلب النافع، وترغيبهم فيه في مقتبل العمر، في المرحلة التي يتأثرون فيها بالكلمة الحسنة خاصة إذا ما كان مصدرها الأم – أقرب الناس إليهم وموضع ثقتهم في تلك السن– مع ما يمتاز به الصغار من الحماسة والنشاط الذي يستلزم التوجيه والتنظيم، فدفعن بهم إلى مجالس العلم مبكراً، مع دوام

---

[1] ارجع ص٣١ من هذه الرسالة، وانظر: علوان، عبدالله ناصح ج٢ ص٢٥٠ .

[2] سور فاطر، الآية ٢٨ .

[3] د. عجيل جاسم النشمي، معالم في التربية، ص١٥٦ .

التذكير بغاية العلم وأهدافه التي ينبغي أن لا يغفل عنها طالب العلم، وحثهم على الصبر على نيل وتحقيق مقاصد العلم وعلى ما يعترضهم في طريق ذلك. كل ذلك من خلال الموعظة والمراقبة والملازمة مع تذليل الصعاب وغرس الإرادة وهي أمور لمسناها عند أغلب من تحدثنا عنهم من العلماء مما لا ضرورة لإعادة ذكرهم.

ثم توجيههم إلى الرحلة في طلب العلم، وفي الرحلة توسيع للمدارك وتنويع في المشارب وإنضاج للعقول.

فمنهن من كانت تصحبه بنفسها كما فعلت أم الأوزاعي وجدة ابن الهمام، ومنهن من كانت توجهه إلى الرحلة ثم تصبر على فراقه مرجحة حكم العقل على نداء العاطفة في استبقائه أمام ناظريها، إدراكاً منها لفوائد الرحلة في طلب العلم، فرجعت أم الشافعي من مكة وتركته يطلب العلم ويرتحل في ذلك، وصبرت أم أحمد بن حنبل على غياب وحيدها وأبت أم علي بن المديني[1] أن تطلب من ولدها الرجوع وقد اشتد بها الحنين إليه[2]، وآثرت أم الجيلاني مصلحته في الرحلة على بقائه بجانبها رغم تقدمها في السن[3].

وكانت بعضهن تعمد إلى اختيار الشيخ لولدها بحسب ما ترى فيه من قوة العلم ورجاحة العقل وحسن التوجيه فاختارات أم مالك ربيعة الرأي شيخاً لولدها تنمية لقدراته، وانتفاعاً بمنهج ربيعة، وعمدت كذلك أم الشيخ بدر الدين الحسني إلى اختيار شيخه، وكذا فعلت جدة ابن الهمام إذا ارتحلت به لتوقفه على أشهر الشيوخ.

كما عملن على تنمية القدرات العقلية والذهنية، كتنمية القدرة على الحفظ بالإشراف عليه مباشرة، أو بتوجيهه إلى من يشرف على حفظه ومن ذلك حفظهم للقرآن الكريم، أو تحفظيهم أحداث السير وبعض كتب الأصول، فحفظ الشافعي الموطأ ولما يبلغ العاشرة بعد[4].

وكن يعملن على إنضاج عقولهم وصقل مداركهم من خلال محادثتهم بأسلوب عقلي رصين، فكن يعملن على تقدير عقول أبنائهن من خلال أسلوب الخطاب والإقناع كما كا ت من أم مالك، ولقد حدثنا – كما مرّ معنا- سيد قطب عن تلك المعاني العظيمة التي كانت

---

(1) علي بن المديني/ علي بن عبدالله بن جعفر بن نجيح السعدي، كان علماً في معرفة الحديث والعلل ذكر من مصنفاته "الأسماء والكنى" و"الضعفاء" ت٢٤٣هـ بسامراء، السير ج١١ ص٤١-٦٠.

(2) المرجع السابق، ج١١، ص٤٩ .

(3) أنظر: د. عبدالرزاق الكيلاني، الشيخ عبدالقادر الجيلاني، ص٩٥ .

(4) السير، ج١ ص١١.

تحاكيه أمه بها قبل سن تمام النضج، فقال "منذ ما كنت في المــهد صبيــاً"[1]!! فأشــعرته بالاهتمام وبأنه جديرٌ بإفراده بالحديث، قبل أن يعي تماماً مرامي الحديث وأبعاد الكلمــات، فينضج قبل موعد النضوج، بناء عقليّ ونفسيّ عظيم رصت لبناته بمتانة وثقة من قبل تلك الأم. وهكذا يُبنى العظماء، فما لم ننته عن مناداة الصغار بتلك اللغة المبهمة يبقى الصغـار صغاراً، ومن خاطبنا بلغة الكبار سيكبرون، إذ كيف ننمي عقلية من نستهين بعقله، ونسـفه رأيه، ونزدري تصرفاته؟

وفي هذا الجانب أيضاً عملن على إبقاء أذهانهم صافية منصرفة نحو طلب العلــم فكن –أمهات الأيتام خاصة– يتكلفن بالنفقة رغم ضيق ذات اليد، حتى لا يكون الانشـــغال بتحصيل الرزق معطلاً لهم عن تحصيل العلم[2].

هذا فضلاً عن توعيتهم بضرورة الحفاظ على أمانة العلم، واستشعار عظمة الأمانة والمسؤولية التي تقع على عاتقهم بالموعظة الصريحة أو الإيحاء كما كان من أم سفيان وأم سيد قطب.

لقد أعطت أمهات العلماء هذا البعد حقه، وقدمن في سبيل هذه التربيــة تضحيــات ثمينة، تُعطي صوراً حقيقية لما يمكن أن تصنعه الأم في هذا المجال وتعكس مدى أهميــة تعليم الفتاة وتنويرها بالقدر الكافي من الثقافة لتكون على درجة من الوعي والإدراك فيمــا يتعلق بتعليم أبنائها مستشعرة أهمية العلم وقيمته.

ونشير هنا إلى نموذج يؤكد أهمية هذا العنصر وأثره: هو والدة الإمام أبي جعفــر الطحاوي، فهي أخت الإمام المزني صاحب الشافعي وهي معدودة في أصحاب الشـــافعي الذين كان يحضرون مجلسه[3]، وبذلك كان مصدر ثقافته الأول هو البيت، وهذا ما جعلــه يسلك طريق العلم وهو يرى أمه أمامه مثالاً يُحتذى في الجد في طلب العلم والصبر علــى مشقة الطلب.

ويجدر التنبه الى أن الطحاوي لم يفلح في طلب العلم على مذهب الشافعي فقال لــه خاله (والله لا جاء منك شيء)، فانصرف الى المذهب الحنفي وصار رأساً فيه وذلك بعــد وفاة خاله المزني رحمهم الله جميعاً[4].

---

(1) ارجع ص ٧٩ من هذه الرسالة.

(2) كامهات: ربيعة وسفيان والأوزاعي والشافعي وابن حنبل والبخاري والندوي وابن الهمام والجيلاني ...

(3) شعيب الأرناؤوط، مقدمة شرح مشكل الآثار ، ص٣٧ .

(4) الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج١٥ ص٢٩

المبحث الرابع: البعد النفسي

وندرك أهمية هذا البعد إذا ما أشرنا إلى غايته وهي تكوين شخصية متكاملة متزنة سوية، صاحبة تفكير ناضج، وإرادة مستقلة، وبمدى تحقق هذه الغاية في العالم ينتج لدينا عملٌ إيجابي مثمر بعيد عن مظاهر الخلل والازدواجية، ويتم العمل من خلال هذه التربية على إكساب المتربي صفات خلقية لازمه لنمو شخصيته كالشجاعة والصراحة وحب الآخرين، وقد تقدم تعريف هذا التربية[1].

وما ذكرناه من أمور لازمٌ للعالم على وجه الخصوص لما تقتضيه طبيعة المسؤولية والأمانة المناطة به، من تحقيق النفع والخير والصلاح للآخرين والتفاعل معهم، وحل مشكلاتهم، مما يتطلب تكاملاً في شخصيته واتزان في فكره وتصرفاته.

من هنا كانت عناية الأمهات بهذا الجانب في تربية العلماء، إذ عملن على تحريرهم من كل ما يحط من كرامتهم واعتبارهم أو يحطم كيانهم وشخصيتهم وبذلن جهوداً للحد من تأثير المؤثرات السلبية المحبطة بهم حتى لا ينظروا إلى الحياة نظرة حقدٍ أو كراهية أو تشاؤم.

وسنحاول هنا تقسيم مجهودات الأمهات في هذا المجال على النحو الآتي:

١-العمل على غرس الثقة بالنفس وبالقدرة على العمل المبدع، ومن الوسائل التي اتبعتها الأمهات لتحقيق ذلك:

أ- الحرص على تربيته في دائرة العشيرة ، كما فعلت أم الشافعي حفاظاً على نسبه، وتعريفه على مآثر عشيرته وشرف نسبه كما هو الحال مع ابن حنبل. وآثار ذلك النفسية هي تعميق مشاعر العزة والكرامة والاتجاه نحو معالي الأمور حفاظاً على شرف النسب[2].

ب- الإيحاء النفسي: وأعني به معاني العظمة والكمال والتميز التي كانت توحي بها الأم من خلال أسلوب الحديث أو طبيعة التعامل، وقد سبقت الإشارة إلى والدة سيد قطب في اعتماد ذلك الأسلوب، فجعلته ينظر إلى نفسه على أنه نسيج منفرد، فانطلق من هذا الإحساس النفسي من أجل عملٍ يضاهي عظمة ذلك الإحساس.

---

[1] ارجع ص٣٠ من هذه الرسالة، وانظر: علوان عبدالله ناصح، تربية الأولاد في الاسلام، ج١ ص٢٩٩ .

[2] محمد اسماعيل إبراهيم، أئمة المذاهب الأربعة ، ص٩٨ .

ج- العناية بالمظهر واللباس، وهو أمرٌ له أثره وانعكاسه على البناء النفسي للشخصية، سواءً شخصية العالم أو من يجالسه، ويتبين لنا هذا الأثر إذا ما تذكرنا عناية أم مالك بلباسه حيث ألبسته ملابس العلماء قبل إرساله إلى حلقات العلم، كي تطبع في نفسه أنه عالم، وهكذا تصطبغ النفسية بنوع اللباس الذي يرتديه المرء، فيزيد من ثقته بنفسه، كما أنه يترك أثره في نفس الناظر أو المخاطب فيعطيه انطباعاً مبدئياً عن شخصية المتحدث فيكتسب العالم من خلال ذلك الاحترام والتوقير، ويحافظ على هيبة العلم والعلماء، ويظل قدوتنا في ذلك رسولنا الكريمﷺ حيث كان يرتدي أفضل ثيابه عند استقبال الوفود[1] موحياً بأهمية المظهر في مواضع خاصة.

٢- تربية الإرادة لديهم، والإرادة هي قوة الرغبة والاختيار التي توجه الإنسان نحو مقصد معين، وهي قوة باعثة يتولد منها الميل إلى الشيء، أو النفور منه[1].

إذاً هي قوة نفسية دافعة وحافزة لبدء أي عمل يظهر عظيماً للوهلة الأولى ويثير في النفس مشاعر التردد والخوف من الخوض فيه. وطريق العلم طريق شاقٌ طويل يستنفذ كل طاقة ويحتاج إلى مواصلة الجهود وتراكمها، الأمر الذي لا يستهوي الصغار وتستعظمه نفوسهم. مما دفع بالأمهات إلى إثارة الوجدان وإنشاء الرغبة وتقوية الإرادة نحو سلوك هذا الطريق بل والنبوغ فيه بوسائل مختلفة، عن طريق النصيحة والترغيب والحوافز وعن طريق ملازمة الإبن للشد على يده وتشجيعه بشكل دائم حتى أحبوا طلب العلم وسلكوا طريقه.

٣-معالجة الشعور بالنقص بسبب الفقر أو اليتم وهذان الأمران لاحظنا تكرارها في أغلب من تعرضنا لذكرهم من العلماء..

لقد خصّ الله عز وجل اليتامى بالذكر في مواضع متعددة موصياً بهم حاثاً على رعايتهم رعاية خاصة كقوله تعالى: (فأما اليتيم فلا تقهر)[2] وقوله سبحانه: (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده)[3].

---

[1] زغلول بسيوني، موسوعة أطراف الحديث ج١ ص ٣٥٧ وأشار أنه مروي في الجامع الكبير ج١ ص١٢٧٣

[1] د. ماجد عرسان الكيلاني، مقومات الشخصية المسلمة، ص٨٩ .

[2] آية ٩: سورة الضحى .

[3] آية ١٥٢: سورة الأنعام .

وهذا أمر يوحي بما قد يتركه اليتم مع فقدان الرعاية من آثار نفسية سيئة تؤدي إلى الانحراف أو الخلل في الشخصية.

وكذا الحال بالنسبة للفقر المدقع إن وقع على نفس غير معدة إعداداً تربوياً كافياً، قد يصيب النفس بالذل ويدفع صاحبه إلى الرضى بالدنية. وبالرغم من اجتماع هذين الأمرين لدى الكثير من العلماء إلا أنه لم يتسرب إلى نفوسهم أدنى شعور بالنقص، بل على العكس تماماً. فقد دفعهم ذلك نحو النزوع إلى الكمال، بفضل ما بذلته أمهاتهم من سد الفراغ الذي تركه غياب الأب بالقيام بدوره على أتمّ وجه. ومن خلال التكفل بنفقة الأبناء مع ما رافق ذلك من غرس الإيمان في نفوسهم.والرضى بحكمة الله تعالى.وتربيتهم تربية خلقية رفيعة على القناعة والصبر.[١]

٤- الوقاية من الظواهر النفسية السلبية التي تحول دون البذل والعطاء، ونقف مع ظاهرتين حالت أمهات العلماء دون سيطرتها على نفوس أبنائهن.

أ- ظاهرة الخجل والانطواء، وهي متعارضة تماماً مع الطريق الذي اختارته أم العالم لولدها، إذ ينبغي أن يتصف العالم بالجرأة والقدرة على الحوار والنقد مما يتطلب قوة في الشخصية ومخالطة للعلماء وطلاب العلم، ولأجل ذلك قمن بدفع أبنائهن إلى مجالس العلم مبكراً ولقد رأينا كيف عاجلت أم بدر الدين الحسني على سبيل المثال إلى إخراج ولدها من حالة الانطواء بإرساله إلى مجالس طلب العلم.[٢] وهذا ما انعكس على مستقبل العلماء جرأة في قول الحق والنقد البناء.

ب) ظاهرة الخوف: كالخوف من الإخفاق وعدم النجاح أو من سوء النتائج مما يحول بينه وبين الاقدام على الأمور أو السير بها منفرداً. ولم نلحظ أي أثر لهذه الظاهرة في حياة العلماء بفضل الجو النفسي المريح الذي نشأوا به، جو من الطمأنينة لا تخالطه الوساوس أو الظنون، وقد وفرن هذا الجو من خلال الدعاء الدائم الذي كان يسمعه العلماء فيشعرون معه برضى الله تعالى وتوفيقه، ومن خلال الحث على العبادات خاصة الصلاة وقراءة القرآن.

---

[١] راجع قول الشافعي في العزة بالتقوى، ص٥٨ من هذه الرسالة.

[٢] ارجع ، ص٧٥ من هذه الرسالة.

٥- الابتعاد عن كل ما يؤثر سلباً على البناء المتكامل المتزن لشخصية العالم.

ومن ذلك تجنب أمرين:

أ- الدلال المفرط، على الرغم مما اتصفت به أمهات العلماء من الحنو والشفقة لكنهن، استطعن تنظيم هذه العاطفة والسيطرة عليها بحيث لا تؤثر سلباً على أبنائهن، فلم تكن عاطفة الأمومة تحول دون الرحلة في طلب العلم أو إيقاظه المبكر من نومه للخروج إلى صلاة الفجر، أو بالتسامح معه إذا أخطأ في حق غيرهم. وغني عن القول ما للدلال المفرط من آثار سلبية على الشخصية حيث يعمل على ميوعتها وعجزها عن تحمل المسؤولية مما لا يليق بالعلماء في أي حال من الأحوال.

ب- سرد القصص الخيالية: وذلك حتى يحيا الواحد منهم حياته بعيداً عن الخيالات والأوهام، فكانت الأم تعمد الى قصص القرآن الكريم والسير والمغازي لكي تلبي رغبة ابنها الفطرية فيحقق الفائدة من وراء ذلك. كما فعلت أم أحمد بن حنبل وأم أبي الحسن الندوي.

المبحث الخامس: البُعد البدني (الرعاية الصحية):

ويُعد هذا البعد مكملاً لبقية الأبعاد لازماً لها، لا يقل أهمية عنها، إذ أنه يُمثل جانب الإعداد والتكوين.

وهدف التربية الجسمية يتمثل في حفظ الأجسام من الدنس والميوعة والخلاعة ومن كل ما من شأنه شل طاقات الجسم الحيوية وإعاقة أدائه لمهامه، بإضعاف قواه أو إحداث صراع ذهني وعقلي يؤدي إلى سوء استغلال الطاقات الجسدية[١].

إذاً فالتربية الجسدية قائمة على ثلاث مرتكزات هي قوة الجسم، وسلامة البدن والحفاظ على مظاهر الحيوية والصحة والنشاط فيه.

ولعل هذا البعد هو الأكثر حظاً من بين الأبعاد الأخرى من حيث عناية الأمهات عامةً به، فأغلب الأمهات يحرصن على رعاية الجانب الصحي لأبنائهن من حيث الطعام والشراب والوقاية والعلاج، لما لهذا البعد من نتائج سريعة وملحوظة وأمهات العلماء كبقية الأمهات تدفعهن عاطفة الأمومة إلى العناية الحثيثة بهذا الجانب، وإن كانت أمهات العلماء يتميزن هنا من حيث النية والمقصد من هذه العناية.

قال الرسولﷺ "المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير"[٢] ، وقوة العالم الجسمية ليست أمراً كمالياً وإنما هو أمرٌ تفرضه ثقل المسؤولية المناطة به فتحصيل العلم يتطلب قوة في البنية تعينه على مواصلة طلب العلم والرحلة في ذلك وتحمل ما يلاقيه من مشقة وأذى، ويحتاج إلى دوام الحيوية والنشاط لتحقيق مبدأ استمرارية التعلم.

وكما هو متوقع من أمهات علمائنا لم يقصرن في إعطاء هذا الجانب حقه، فقد مررنا ببعض مظاهر العناية الجسمية –أو الصحية– التي قدمتها أمهات العلماء لأبنائهن ومن ذلك تكلفهن – في حالة غياب الأب– بالنفقة على المأكل والمشرب والمسكن والملبس باعتبارها ضروريات لازمة لقوة الجسد وسلامته وقدرته على القيام بالأمانة المتوقعة، وأشرنا إلى إيثار بعضهن حياة الترمل على الرغم من صغرهن من أجل التفرغ التام لرعاية شؤون أبنائهن والإشراف على احتياجاتهم منها الحاجات الصحية.

---

[١] د. عجيل النشمي، معالم في التربية، ص١٦٦ .

[٢] مسلم (الصحيح). كتاب القدر باب في الامر بالقوة ح(٢٦٦٤) جـ٤ ص١٦٢٩.

ولقد كان من أمهات العلماء من تعمد إلى إطعام ولدها بنفسها إذا ما شغله شاغلٌ عن الاهتمام بطعامه ومن ذلك ما جاء أن والدة عبدالله الأنصاري الهروي[1]، كانت تدخل لقمة الطعام في فم ولدها لكي لا يضره الجوع إذا ما انشغل في كتابة العلم[2].

ومن جانب آخر حرصهن على ما يحقق النشاط والحيوية، كتعلم الرياضات ولقد أشار الشافعي إلى إجادته الرمي في سن مبكرة[3] مما يدل على رعاية أمه وتشجيعها له على ذلك، ومما يحقق النشاط أيضاً حثهم على البكور في طلب العلم وصلاة الفجر في المسجد ليبدأ العالم يومه بحيوية، وهذا أثرٌ من آثار العبادات بشكل عام.

هذا مع مراقبة الأم لأوقات العمل والراحة والحيلولة دون إلحاق الأذى أو إرهاق أنفسهم وتحميلها فوق ما تُطيق فكانت أم الإمام أحمد تمنعه من الخروج باكراً قبل الفجر فإذا ما أذن المؤذن أذنت له بالخروج[4].

ثم بالبعد بهم عن مظاهر الخمول والكسل وعدم السماح لهم بالجنوح إلى الراحة والدعة وحثهم على الأخذ بالعزائم وعدم الفتور بدوام إشغالهم وتعبئة أوقاتهم وتفريغ طاقاته بما هو نافع وهذا مما عصمهم من الوقوع في الزلل أو الجري وراء الشهوات أو صرف الذهن نحو التفكير بها.

وأعظم الأمور التي ربتهم فيهم هذا الجانب هو الرحلة في طلب العلم وما تضمنته من فوائد صحية إذ تعود صاحبها على الرجولة والخشونة وتحمل المسؤولية والتقشف في العيش، فكانت بذلك من أعظم ما حفظهم عن مظاهر الميوعة والخلاعة.

وبذلك وظفن الطاقات الجسدية المختلفة من أجل تحقيق الغاية التي اخترنها لأبنائهن، مع الحفاظ على تلك الطاقات في مستوى الحيوية والنشاط والاستعداد الدائم، وبشكلٍ متوازن دون إفراط أو تفريط.

---

[1] عبدالله بن محمد بن علي الأنصاري، صاحب كتاب "منازل السائرين"، ت٤٨١هـ، انظر، السير ج١٨ ص٥٠٣-٥٢٥ .

[2] الأفغاني، محمد سعيد، شيخ الإسلام عبدالله الأنصاري الهروي، ص٢٢ .

[3] السير، ج١٠ ، ص٦ .

[4] ارجع ص "٦٣" من هذه الرسالة.

المبحث السادس: البُعد الاجتماعي

ويأتي هذا البعد في خاتمة الأبعاد لكونه حصيلة كل تربية سبق ذكرها، فهو الظاهرة السلوكية للقيم والمبادئ والأخلاق التي تربى عليها الفرد وتتمثل في أداء حقوق الغير، والتزام الآداب، والرقابة الاجتماعية.

فالتربية الاجتماعية هي (تأديب الولد منذ نعومة أظفاره على التزام آداب اجتماعية فاضلة ... تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة والشعور الإيماني العميق، فيظهر الولد في المجتمع على خير ما يظهر من حسن التعامل، والأدب والإتزان، والعقل الناضج، والتصرف الحكيم)[1].

ولقد وقفنا على نوعية التربية الإيمانية والخلقية التي تلقاها علماؤنا من قبل أمهاتهم، فكانوا بفضل تلك الركائز العقدية محطّ أنظار وموضع ثقة العامة.

وفي حديثنا عن البعد الاجتماعي لا يُعقل أن نتجاوز أثر البيئة الاجتماعية التي نشأ بها علماؤنا، فجلّهم من بيوتات أصيلة عرفت بالعلم والصلاح والتقوى، وأُثر عنها الكرم والشجاعة والمروءة، ومثل هذه البيئة فرضت رقابة اجتماعية على سلوك العلماء، وحملتهم مسؤولية الحفاظ على الموروثات الأصيلة والمكتسبة التي تربوا ونشأوا عليها في ظل هيبة القيم الاجتماعية السائدة والمنسجمة مع مبادئ الاسلام، ولقد لمسنا حرص بعض الأمهات ومنهن أم الشافعي مثلاً، على ربط أبنائهن بالبيئة والعشيرة، إدراكاً منهن لأثر هذا العنصر في تشكيل سياج حماية ووقاية للتربية والمبادئ التي سينشأ عليها أبناؤهن.

كما كان لتعويد الأمهات لأبنائهن ارتياد المساجد دوره في هذا البُعد إذ من خلال مشاركتهم في الصلاة وتعلمهم آداب المسجد ونظام الصفوف، وسماعهم لما يُلقى من دروس من خلال ذلك كله نشأوا نشأة إسلامية ملتزمة بأدب الإسلام واصطبغت حياتهم بصبغة المسجد وأخلاقه فكان ذلك من أفضل الأساليب التي جعلتهم يتفاعلون مع الخير والبر ويمارسونه متى استطاعوا إليه سبيلا.[2]

وإذا كان البعد الاجتماعي أو التربية الاجتماعية يظهر أثرها سلوكاً،فنشير هنا إلى بعض الآداب الاجتماعية التي تمثلها علماؤنا والتي تُعد انعكاساً للمبادئ والقيم التي تربوا عليها صغاراً ومن ذلك:

---

[1] عبدالله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ج١ ص٣٥٧ .

[2] المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله ، ص١٤٦ .

- أدباً من آداب طلب العلم ومظهراً من مظاهر إجلاله وهو أن يغتسل أو يتوضأ ثم يتطيب ويلبس أفضل ثيابه قبل الجلوس في مجالس العلم، فكان الإمام مالك إذا خرج إلى مجلس العلم خرج متزيناً، مكملاً مطيباً، قد لبس من أحسن ثيابه[1]، وهذا يذكرنا بسلوك أمه معه حينما وجهته لطلب العلم أول مرة فطيبته وألبسته لباس العلماء فكان ذلك عادته كلما توجه لطلب العلم، وكذا كان حال الإمام أحمد الذي تكفلت أمه بشؤونه فلم يكن أحدٌ أنقى ثوباً بشدة بياض منه[2]، وقال الإمام البخاري: (ما وضعتُ في كتاب "الصحيح" حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك ...)[3].

هذا فضلاً عن شدة تواضعهم وإجلالهم لشيوخهم فهذا الشافعي - الذي ربته أمه منذ صغره على احترام شيخ الكتاب وأن يحسن القيام مقامه إذا غاب عن الكتاب مقابل ما ينبغي أن يدفعه له، يُلام في شدة تواضعه لشيوخه فيقول:

أهين لهم نفسي فهم يكرمونها ولن تكرم النفس التي لا تهينها

ويقول الإمام مالك في أدب الكلام وهو الذي وجهته أمه إلى الاقتداء بأدب كبار العلماء (اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلم الإنسان بكل ما يسمع)[4].

ويخرج لنا الإمام اليتيم الذي تربى في حجر أمه، الإمام البخاري كتابه "الأدب المفرد" ليفصل فيه الحديث عن الآداب الإسلامية في ظلال التوجيهات النبوية، منطلقاً في ذلك من إحساسه بقيمة الأدب وضرورته.

وكثيرٌ من الآداب إنما يتعلمها النشء من خلال القدوة والعادة، ولقد كانت أمهات العلماء نعم القدوة في ذلك، عودن أبناءهن الفضيلة بتمثلها أمامهم.

- ومن خلال عمل الأمهات على إدماج أبنائهن في المجتمع، وإتاحة الفرصة لهم للرحلة والتنقل والخلطة مع الآخرين، كانوا بفضل ذلك قريبين من نفوس الناس يقول الرسولﷺ "المؤمن مؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف[5]. ونفع الناس إنما يتحقق من خلال مخالطتهم ومعايشتهم والإحساس بهم، وهذا كان حال العلماء، ومنهم على سبيل المثال ابن حنبل وأسيد قطب.

---

[1] الذهبي، السير، ج٨ ص٦٤ .

[2] الخطيب، تاريخ بغداد، ج٢ ص٩ .

[3] الذهبي، السير، ج١٢، ص٤٠٢ .

[4] الذهبي، السير، ج٨ ص٦٦ .

[5] أحمد ، المسند، ج٢ ص٤٠٠ .

وهذا ما دفعهم إلى الحرص على حقوق الآخرين وأدائها فأدوا حقوق الوالدين حتى عرفوا بالبر، فهذا الإمام أحمد يستأذن أمه قبل خروجه لأي أمر[١]، وكذا كان سيد قطب كثير الحديث عنها مظهراً لفضلها.

ومنها حق الجار الذي أكد الرسولﷺ الوصية به حتى قال: "... وما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه"[٢]، فكان سيد قطب كثير التفقد لجيرانه يمدّ لهم يد العون تأثراً بسلوك أمه أمامه، إذ كانت كثير الصدقة على المساكين والإحسان إلى الضعفاء، فغرست في نفسه مشاعر الرحمة على المساكين حتى أنه كان يجالس عمال القرية ويستمع لمشكلاتهم ويأخذ لهم من بيته زيادة على استحقاقاتهم.[٣]

وفي حق الصحبة كان للأم دورٌ في انتقاء الأصدقاء والتوصية بهم فلما قدم علي ابن المديني من سفره قالت له : (يا بني فلانٌ لك صديق وفلان لك عدو ...)[٤] موصية إليه بضرورة مراعاة حقوق الأخوة والحفاظ على أواصر هذا الرباط مع أولئك الذين لمست فيهم صدق الأخوة تجاه ولدها وحب الخير له.

وقد أوصى الرسولﷺ في أحاديث كثيرة بالصاحب، وأكد على أهمية وأثر الصحبة فقال: "الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل"[٥].

وتعلم أبو الحسن الندوي من سلوك أمه معه احترام حقوق الفقراء والمساكين والإحسان إليهم من خلال عقوبته إذا أساء إليهم، فنشأ وفي نفسه تعظيم لمشاعر الغير وحرصاً على الرفق بها ومراعاتها.

ومن خلال تربية الأمهات لأبنائهن على تحمل المسؤولية، وتذكيرهم بغاية العلم وأهدافه، وغرس الأصول الإيمانية والخلقية فيهم كالتقوى والأخوة والإيثار والجرأة، - من خلال ذلك وانطلاقاً منه- وجهوا نشاطهم بعدما نضجوا نحو الإصلاح والتغيير في ميادين متعددة منها الميدان الاجتماعي، فراقبوا أوضاع مجتمعاتهم ورصدوا مواطن الخلل ثم باشروا في الإصلاح بالوسائل الممكنة والمتاحة فمنهم من ألّف في مجال الأمر بالمعروف

---

[١] السير، ج١١ ص١٨٥ .

[٢] مسلم. الصحيح بشرح النووي، كتاب البر والصلة باب الوصية بالجار، ج٨ ص٥٩٦، رقم (٢٦٢٤).

[٣] صلاح الخالدي، الشهيد الحي، ص٧١ .

[٤] السير، ج١١ ص٤٩ .

[٥] الترمذي، السنن، كتاب الزهد باب (٤٥) ج(٢٣٨٣) ج٤ ص٥٨٩ .

والنهي عن المنكر، ومنهم من كتب في العدالة الاجتماعية[1] مرشدهم في ذلك كتـــاب الله تعالى الذي حفظوه ووقفوا على معانيـه وأدركوا مراميه.

[1] من مصنفات سيد قطب.

الخاتمة

النتائج :

أظهرت الدراسة النتائج الآتية:

١) تُعدّ الأم محور التربية الأسرية، والعنصر الأكثر فعالية وأثراً في مرحلة الطفولة، ومن هنا كانت مسألة اختيار الزوجة من أكثر المسائل أهمية في بناء الحياة الأسرية باعتبار أن عملية الاختيار تستهدف انتقاء أم تنشئ جيلاً وتُعدُ أمة.

٢) تُسهم الأم في عملية توجيه وتصويب الاتجاه التربوي للأبناء وإن تقدموا في السن، لتلك الخصوصية التي تتمتع بها الأم من حيث المكانة القلبية لها في نفوس الأبناء، والسلطة الطبيعية التي امتلكتها بحكم موقع الأمومة.

٣) أنّ هناك تقصيراً واضحاً من قِبل المؤرخين والباحثين في إبراز وإظهار دور أمهات السلف الصالح في إعدادهم وتنشئتهم، مع أهمية هذا الدور وما يعكسه من ضرورة العناية بتربية الفتيات وتوعيتهن.

٤) يظهر دور الأم بارزاً وأكثر وضوحاً، في حالة غياب الأب - لموت أو سفر- إذا ما قامت الأم بسد الفراغ الذي تركه الأب وتحملت مسؤولية تربية الأبناء كاملة بكفالتهم والإشراف على كافة أمورهم.

٥) تستطيع الأم مضاعفة جهودها للقيام بدور الوالدين معاً في الظروف الطارئة - كاليتم أو الطلاق أو السفر- والنجاح في القيام بهذا الدور.

٦) يمكن للأم أن توفق بين عاطفتها الفطرية وبين ما يقتضيه حكم العقل إذا كانت على مبلغ من الوعي وبعد النظر إذ لا يتعارض حنان الأم وشفقتها مع ضرورة الحزم والجرأة في أمور التربية.

٧) أن هناك ارتباطاً بين مدى نجاح الأم في تربيتها لأبنائها وبين مدى ملازمتها لهم، فكلما كانت أشد ملازمة لهم كلما كانت أقدر على المتابعة والتوجيه.

٨) اشتركت أمهات العلماء في صفات وأخلاق منها:

أ- أنهن من بيئات علمية تقدر العلم وأهله -على تفاوت في هذه البيئات- .

ب- العقل والفطنة والوعي وبعد النظر والكياسة وحسن التعرف .

ج- الورع والتُقى والعبادة والصلاح.

٩) امتازت بعض أمهات العلماء بكونهن محدثات أو فقيهات طلبن العلم وألفن فيه.

١٠) لا يقتصر دور الأم على مجال أو مجالات محدودة في التربية بل يمكن أن يظهر في كافة المجالات.

١١) امتازت أمهات العلماء بعنايتهن بكافة الأبعاد البنائية لشخصية أبنائهن، وبأنهن أنفسهن أعددن لهن إعداداً تربوياً علمياً غرس من خلاله في نفوسهن منزلة العلم وأهميته.

١٢) أن المنطلق في تربية النشء عامة إعداد والعلماء خاصة هو البعد الإيماني وللأم دورٌ أساسيٌ في رعاية هذا الجانب .

١٣) يُعد البعد العقلي أبرز ما يميز مجهودات أمهات العلماء في إعداد أبنائهن وهذا البعد يحتاج إلى تربية من نوعٍ خاص يشرف عليها من أتصف بالعلم والفطنة وحسن التصرف.

١٤) للبعد النفسي أثر بالغ في صياغة شخصية العالم وتمكينه من الاستفادة والإفادة العلمية في أوسع الدوائر، وهذا البعد أكثر ما يمكن العناية به في المراحل العمرية الأولى التي يتم فيها بناء الركائز النفسية السليمة في نفوس الناشئة.

١٥) أن لأمهات العلماء دوراً بالغاً في إعدادهم إعداداً متكاملاً أهلهم لتبوأ المكانة العلمية الرفيعة، وما تقتضيه تلك المكانة من مسؤوليات جسام، فساهمن بذلك في بناء الحضارة الإسلامية. وحصانة الأمة المسلمة .

التوصيات:

بناءً على نتائج البحث والدراسة فإني أوصي بما يأتي:

١- العناية بإعداد الفتاة المسلمة، وتوعيتها بأهمية دورها التربوي وذلك من خلال الأسرة والمؤسسات التعليمية والمؤسسات الإعلامية .

٢- زيادة الاهتمام بتاريخ المرأة المسلمة وإبراز دورها في بناء الحضارة الإسلامية لتكون قدوة ومثلاً يحتذى من قبل المرأة المعاصرة. وضرورة تناول موضوعات المرأة بصورة أكثر عمقاً وعناية من قبل الباحثين.

٣- تحمل المرأة المسلمة لواجباتها الحقيقية بأمانة وإخلاص وضـــرورة تحديـــها للمعوقات النفسية والمادية التي تحول بينها وبين المساهمة الفاعلة في إعـــداد جيل مسلم قوي قادر على حمل الأمانة.

٤- عدم استجابة المرأة المسلمة للدعوات الزائفة التي تدعوها للمطالبـــة ببعـــض الحقوق الشكلية ومنافسة الرجال في بعض الأمور والتي ليس مـــن مصلحـــة المرأة المزاحمة فيها لا نفسياً ولا جسمياً ولا اجتماعياً. والتـــي يقصـــد منـــها التلاعب بعواطف النساء وتمردهن على بعض القيم الاجتماعية والدينية ليـــس إلا.

المراجع والمصادر

أحمد بن حنبل

المسند، ط٢، دار الدعـوة، دار سحنـون، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، اسطنبول، ضمن موسوعة الكتب الستة وشروحها.

الألباني، محمد ناصر الدين

صحيح سنن ابن ماجه، ط١، مكتب التربية العربي لـدول الخليـج، الريـاض، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، توزيع المكتب الإسلامي-بيروت.

البخاري، محمد بن اسماعيل ، ت(٢٥٦)

الأدب المفرد، ط٢، مطبعة أُفست، طشقند، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

البخاري، محمد بن اسماعيل، ت (٢٥٦هـ)

الصحيح مع الفتح، للحافظ أحمد بن علي بـن حجـر، ٨٥٢هـ، دار الفكـر، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

البيهقي

السنن الكبرى، ط١، درا الكتب العلمية، بيروت، ت/ محمد عبـد القـادر عطـا، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، ت (٢٩٧م)

السنن، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

الجصاص، أبو بكر الرازي، أحمد بن علي، ت (٣٧٠)هـ

أحكام القرآن، دار الكتاب العربي ، بيروت، بدون، ط .

ابن الجوزي، علي بن محمد يوسف

أحكام النساء، المكتبة العربية، بيروت، ١٩٨٠، وزارة الأوقاف، قطر ١٩٩٣ .

الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم، (٤٠٥) هـ

المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت، بدون ط .

ابن حجر العسقلاني

تهذيب التهذيب، دار صادر، بيروت، ط١ .

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، ت (٤٥٦)هـ

المحلى، تحقيق أحمد شاكر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بدون ط .

حسن أيوب

السلوك الاجتماعي، دار الندوة الجديدة، بيروت، ط٤، ١٩٨٣ .

أ.د حمزة النشرتي

الإمام الزاهد أحمد بن حنبل، شخصيات إسلامية (٨)، وكالة الأهرام ومكتباتها.

الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي ، ت(٤٦٣)هـ

تاريخ بغداد، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، ط١، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني ، ت (٢٧٥)هـ

السنن، سنن أبي داود، دار الجنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

الداودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، ت (٩٤٥)هـ

طبقات المفسرين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

الذهبي ، شمس الدين

تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق د. عمر عبدالسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠ .

الذهبي، ت (٧٤٨)هـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه شعيب الأرناؤوط ، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ط مؤسسة الرسالة، بيروت.

الزركلي، خير الدين

الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، سنة ١٩٨٤م.

السخاوي

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة القدسي، القاهرة، ودار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٣٣م.

سعد بن خلف

مسيرة المرأة العربية، ط١، ١٩٩٣م.

سمير شيخاني

صانعو التاريخ، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٧ .

ابن سعد

الطبقات الكبرى، ط دار صادر ، دار بيروت، بيروت، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٨م.

الشيزاري، إبراهيم بن علي بن سوف، ت (٤٧٦)هـ

طبقات الفقهاء، دار القلم، بيروت، بدون ط .

سيد قطب

التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، ط٦ .

سيد قطب

طفل من القرية، الدار السعودية للنشر، د.ت. د.ط .

سيد قطب

في ظلال القرآن الكريم، الطبعة الشرعية العاشرة، سنة (١٤٠٢هـ-١٩٨١م)، ط دار الشروق ، القاهرة.

السيوطي، جلال الدين

الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤١١هـ-١٩٩٠م).

الشيباني، عمر

من أسس التربية الإسلامية، المنشأة الشعبية للنشر، طرابلس، ١٩٧٩م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك

الوافي بالوفيات، ط٢، فرانز شتايز، فيسبادن، بعناية: ديدرينغ وآخرون، ١٩٩٣م.

صلاح عبدالفتاح الخالدي

سيد قطب، الشهيد الحي، مكتبة الأقصى، عمان، ط١ ، ١٩٨١م.

الطحاوي، أحمد بن محمد، ت (٣٢١)

شرح مشكل الآثار (المقدمة)، بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٤م.

ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله ابن عبدالبر، ت (٤٦٣)هـ.

التمهيد، طبعة المركز الإسلامي للطباعة، القاهرة، طبعة سنة ١٩٦٧م.

ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي، ت (٤٦٣)

جامع بيان العلم وفضله، دار الفكر، بيروت.

عبدالرزاق الكيلاني

الشيخ عبدالقادر الجيلاني، دار القلم، دمشق، ط١ ، ١٩٩٤م.

عبدالله أحمد

بناء الأسرة الفاضلة، دار البيان العربي، ١٩٩٠م.

عبدالله ناصح علوان

تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، حلب، بيروت، ط٣، ١٩٨١.

عبدالمنعم قنديل

حياة الصالحين، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٠م.

ابن عساكر ، ت (٥٧١)

تاريخ مدينة دمشق، تحقيق سكينة الشهابي، دار الفكر ، دمشق.

علي عبدالحليم محمود

تربية الناشئ المسلم، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٢م.

ابن كثير ، عماد الدين ابي الفداء، إسماعيل ابن كثير، ت (٧٧٤)

مطبعة السعادة، مصر.

ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد العكري الحنبلي الدمشقي

شذرات الذهب، أشرف على تحقيقه، عبدالقادر الأرناؤوط، حققه وعلق عليه، محمود الأرناؤوط، ط١ سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ط دار ابن كثير ، دمشق.

الغزالي ، محمد

قضايا المرأة بين التقاليد الراكزة والوافدة، دار الشروق، ط٣، ١٩٩١م.

د. فاطمة محجوب

الموسوعة الاسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ت (٥٦٤)

الإلماع، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٧٠.

القاضي عياض

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مواهب مالك، تحقيق د. أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧م.

القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري

الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧، ط٣ .

ابن قيم الجوزية

زاد المعاد هدي خير العباد، المؤسسة العربية للطباعة، بيروت.

ماجد عرسان الكيلاني

مقومات الشخصية المسلمة، مكتبة دار الاستقامة، مكة، ١٩٩٦.

مالك بن أنس الأصبحي ، ت (١٧٩)

الموطأ، تحقيق محمد سعيد اللحام، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٩٨٨ .

محمد اسماعيل إبراهيم

أئمة المذاهب الأربعة، دار الفكر العربي، ١٩٧١.

المتقي الهندي، علي بن حسام ، ت (٩٧٥)هـ

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق بكر بن حياتي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

محمد سعيد عبدالمجيد الأفغاني

شيخ الإسلام عبدالله الأنصاري الهروي، دار الكتب الحديثة.

محمد صالح فرفور

المحدث الأكبر وإمام العصر العلامة الزاهد السيد الشريف الشيخ محمد بدر الدين الحسني، المتوفى سنة ١٩٣٥، دار الإمام أبي حنيفة، دمشق، سلسلة أعلام القرن الرابع عشر الهجري، ط١، ١٩٨٦ .

محمد عبدالحكيم خيال

الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٧٩م.

محمد علي قطب

فضل تربية البنات في الإسلام، مكتبة القرآن للطبع، القاهرة، ١٩٨٤.

محمد قطب

منهج التربية الإسلامية، دار القلم، القاهرة، ط٢، د.ت .

مصطفى الشكعة

الأئمة الأربعة، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٧٩م.

مصطفى علي حمدان

حواء التي أنصفها الإسلام، دار الإسراء، القاهرة، ١٩٩١ .

المنذري، زكي الدين أبو محمد بن عبدالعظيم

مختصر صحيح مسلم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية،عمان، ١٩٩١م، والمكتب الإسلامي، بيروت، ط٤ .

ابن منظور ، محمد بن مكرم

مختصر تاريخ دمشق، لابن عساكر، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، تحقيق رياض مراد وآخرون.

ابن نباته المصري، جمال الدين محمد بن محمد المتوفى سنة (٧٦٨)

سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون، ط٤، ١٣٢١هـ.

نجم الدين الغزي

الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق جبرائيل جبور، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٤٥م.

الندوي، أبو الحسن

في مسيرة الحياة، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٧.

النسائي، أحمد بن شعيب، ت (٣٠٣)هـ

السنن، المعني بها، أبو غدة، الطبعة الأولى بالمطبعة المصرية، ١٣٤٨هـ-١٩٣٠م، والثانية صورة عنها في بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

النشمي، عجيل جاسم

معالم في التربية، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت، ١٩٨٠ .

أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصفهاني، ت (٤٣٠)هـ

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط المكتبة السلفية.

الهيثمي، علي بن أبي بكر الهيثمي، ت (٨٠٧)هـ

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م.

ياسين رشدي

نساء مؤمنات، نهضة مصر للطباعة

The Role of Muslim Mother in the Development of Scholars

By:
Lubna Hussein Mohammad Al-Rashdan
Supervisor:
Professor : Harith Al-Dari
Dr. Mohammad Miqdadi

Abstract

In this study, I attempted to shed light on the role played by the mother in the development and preparation of Moslem scholars, for this subject was never examined and studied before. To accomplish this objective, the researcher sought answers to the following sub-questions:

1. What is the status of the moslem woman ? and what is her role in education ?
2. What are the models showing the mother's role in the development of scholars?
3. What are the structural dimensions in the scholars development?

The study revealed the critical and vital role played by the mother in education, specially during the early childhood, emphasizing the need to pay much attention to the Islamic education of girls, their specific preparation to carry out this mission, and the importance of selecting the good wife and mother to complete the proper components of education.

This is evident, from the vital role taken by mothers of scholars in the process of their preparation to achieve the proper scholarly position, and their capability to maximize efforts and close the gap in the absence of the father as well as the capability to balance between the emotion and

the mind when necessary. This was never possible, without the traits of wisdom, intelligence and good management together with pious and goodness.

Mothers' of scholars accomplished their objectives through their careful attention to all structural dimensions of the moslem personality, making the dimension of faith as the solid base for the accomplishment of the other , with due consideration to the mental dimension, which is of particular interest to the scholars.

In the light of the study results, the researcher recommended to focus on the preparation of the moslem girls, to qualify them for their critical role through the family and the educational and media institutions, with special emphasis on the history of the model moslem women and their role in building the Islamic civilization. On the other side, the moslem woman is obliged to carry out her responsibilities honestly and sincerely, overcoming all psychological and physical obstacles to produce a moslem generation capable of holding up the mission.